الجزء الأول

رؤيــة تحليليــة أوليــة

« العقل العربى» و «العقل الأمريكى»

ما بين معضلات التواصل عبر الثقافات ومعضلات السياسة

تمهيـــد

كما أوضحنا فى المقدمة ، فإن صعوبة إدارة تفاعلات «العقل الأمريكى» و «العقل العربى» تكمن فى إختلاط الأبعاد الثقافية المركبة بالأجندات السياسية إلى حد قد أصبح مربكاً وفى غاية الصعوبة . وأمر إدارة مثل هذه التفاعلات يحتاج إلى فك الاشتباكات الخاطئة وفك الارتباط بين ما هو ثقافى وما هو سياسى لحين حيث أن هذا الأمر مستحيل واقعياً بالطبع – ولكن من الممكن فقط إذا كان الهدف والسياق هو محاولة تحديد مهام إدارة الصراعات والتدخل الرشيد من المعنيين بذلك . فتحديد ماهو ثقافى وماهو سياسى من الأهمية القصوى لإدارة الصراعات بالحد الأدنى من النجاح ... ولقد إختلطت أبعاد الثقافة وأبعاد السياسة إلى حد غير مسبوق فى تاريخ الصراعات فى حالة تفاعلات «العقل العربى» و «العقل الأمريكى» بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ على وجه الخصوص .

ومن وجهة نظر كاتب السطور إن جزءاً كبيراً من المشكلة هو استخدام ترسانة إعلامية ضخمة بل وأكاديمية فى ترويج تفاعلات سلبية للغاية عن «العقل العربى» وعن «الإسلام» فى غياب التصدى الفعال لتوصيل الصورة الإعلامية المعبرة عن الغالبية أو الـ Main stream وعن القيم الحقيقية الإيجابية فى جوهر الثقافة العربية الإسلامية التى تمكنها أن تنهض ثانية من كبوتها القائمة لتكون إضافة كبرى للقيم الإنسانية السامية .

جزء من تفاقم هذه المشكلة هو التقاعس الكبير فى واقعنا فإذا علمنا أن هناك تفاوتاً كبيراً بين ما ينتج من أبحاث عن «العقل العربى» فى أمريكا – وهو ما ليس عندى إحصائية دقيقة له – **أضعاف أضعاف ما ننتجه فى جامعاتنا ومراكز أبحاثنا – نظراً للأهمال الكبير للباحثين فى واقعنا – واهتمامنا الحميم بنشر ثقافة المسخ وبرامج «سمعنا أغنيتك» وتخريج العالم العربى لآلاف المغنيين ... فكل يوم «نجم جديد» وهناك محطات إعلامية متفرغة على مدار الـ ٢٤ ساعة لهذا الغرض ، بل أن هناك من الميسورين جداً فى العالم العربى الذى إفتتح محطة للغناء لا تستحق ذكر إسمها ، تحتكر الأصوات وبدلاً من شريط يباع فيأتى بعائد ٢ أو ٣ مليون من الجنيهات لهذا المغنى أو ذاك ممن يلعبون على أوتار الفراغ المميت للشباب العربى ، فإن آخر ما سمعته أن هذه الشخصية المعروفة جداً فى العالم العربى قد عرضت مبلغ أربعين**

مليون جنيهاً علـــى أحد المغنيين الذين يلقبونه ضمن العشرات الملقبين «بنجم الغناء العربى» .... لاشك أن ما أقوله هنا ليس إلا وجهاً مؤسفاً من الحقيقة والمهزلة فى آن واحد فى هذا العالم العربى ، إنه لا يوجد فى جامعاتنا مثل كلمة «بدل بحث» حتى وإن كان ضئيلاً ... الجامعات أصبحت مدارس تلقينية فـــى كثير مـــن التفاعلات – إلا من رحم ربى – فلماذا لا ينتج العالم العربى كل ما يريد انتاجه عن «العقل العربى» الذى يتفرغ للغناء وانتاج «الأغانى الراقصة على أنغام التخلف» بدلاً من استنهاض ما تبقى من القوة البحثية العربية لتقود عمليات التنمية . إن عدد مراكز ومعاهد دراسة اللغة والثقافة العربية فى الولايات المتحدة تعد بالعشرات إن لم تكن بالمئات – وعلينا رصد إحصائية بذلك فى سياق قادم إن شاء الله –

لقد تحولت معارض الكتاب عندنا كمدينة للملاهى ونجد نسبة من الأسماء المتكررة ولا دفع أو تشجيع لباحثين جُدد بل تم اقتطاع جزء كبير من هذه المعارض السنوية لممثلين وشخصيات هزلية تأتى لتحتل مواقع كانت ممكنة لمناقشة أعمال فى مجال الكتابة الإبداعية فى مختلف العلوم ممن تبقى من الباحثين الذين يقاومون كل عوامل الإحباط التى ذكرنا بعضها ... والمفروض ألا اتعجب أنا أو غيرى بعد أن أصبح شهر رمضان شهر للمسلسلات ، وبعد رمضان أصبحت دوائرنا الإعلامية مشغولة باستضافة أبطال المسلسل والمخرجين فى ندوات تمتد حتى معرض الكتاب من كل عام ... باختصار .... إذا كان الاهتمام بالمغنيين والممثلين وكل أشكال المسطحين جزء من التعددية والتنوع فلا يمكن أن يكون لهؤلاء ومعهم نجوم كرة القدم هم موضع التركيز والأولوية القصوى والاهتمام المعنوى والمادى .. على حساب العلماء وحساب القطاعات الأهم فى أى مجتمع ينشد المعرفة والتقدم الحقيقى .

كانت هذه مقدمة فى النقد الذاتى البناء الضرورية والصادقة «للعقل العربى» قبل أن أنتقل «للنقد البناء والضرورى للعقل الأمريكى» .

نبذة عن دراسات تقييم الاختلافات الثقافية

لابد أن أشير هنا إشارة إلى طبيعة الدراسات الحديثة فى مجال التواصل عبر الثقافات (Cross - Cultural communication studies) وهى دراسات فى مجال حيوى للغاية لإدارة العلاقات الدولية والتفاعلات الاقتصادية والتكنولوجية والعرقية عبر هذا العالم كله .

ولا يتسع النطاق هنا لتقديم تفصيلات دقيقة عن هذه الدراسات المتعددة المستويات والتى جاءت من منظور تكاملى من علوم اللغويات النفسية والاجتماعية

والسياسية والعرقية والتعليمية فجاءت أكثر صرامة وعمقاً من الدراسات الأحادية المجالات – غير التكاملية – فلقد فشلت علوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع وعلم النفس – كل على حده فى تفسير التفاعلات الثقافية وتأثيرها العميق على كافة قطاعات التفاعلات اليومية داخل وعبر الثقافات – وتفاصيل هذه الدراسات ونماذجها كذلك النموذج العلمى الذى صممه كاتب السطور كنموذج لتقييم الاختلافات الثقافية (Cross - cultural communication Benchmarks) هو موضع دراسة أخرى فى طور الانتهاء منها قريباً بإذن الله .

ولذلك فإن ما نكتفى به فى هذا السياق هو الإشارة الأولية لأهم معايير تقيم التفاعل عبر الثقافات خاصة عندما تلتقى بمعايير التفاوض العلمى وإدارة الصراعات الممتدة أو تتداخل معها . وسوف لا نتعرض هنا لتفاصيل تلك المفاهيم النظرية – حيث أن ذلك يتطلب سياقاً آخر كما ذكرنا – ولكن سنرصد بعض الأمثلة التطبيقية التوضيحية ؛ وهى تفاعلات حقيقية فى إطار تفاعلات «العقل العربى» و «العقل الأمريكى» سجلها كاتب السطور فى عدة مقالات تفاعل فيها مع أحداث من وقائع الأزمة الممتدة التى نعيشها وأقدمها مسبوقة بشرح المفهوم النظرى المنطبق على التفاعل والموضع له فى هذا الجزء الأول ، وكذلك فى أجزاء هذه الدراسة الأخرى .

اولاً: مفهوم السياقية التتبعية
Consecutive contextuality

والمقصود به إستقصاء السياق الحقيقى للتفاعل وكشف أى سياق غير حقيقى ومفتعل أو ذلك السياق الذى تم رصده – ربما دون عمد – بناء على الخطأ الناتج عن مباريات المعلومات غير الدقيقة أو التامة (Imperfect Information Game) .

لقد استخلصت هذا المستوى ومستويات أخرى لفهم مفهوم السياق من واقع تحليل كم كبير من بيانات التفاعلات فى إطار الإسلام والغرب قبل سبتمبر ٢٠٠١ وبعده ... وهو الأمر الذى سأقدم له تفصيلاته التقنية والمزيد من الأمثلة الدالة فى بحث آخر فى طور الانتهاء منه ، ويكفى هنا إعطاء أمثلة قليلة للتوضيح ... والمثال التالى جاء فى شكل مقال لكاتب السطور جاء للرد علىّ ومناظرة فريدمان فيما أسماه «بالسياق الحرج» Critical Context بخصوص أحداث الصراع العربى الإسرائيلى ، وهو كما يلى وكما نشر فى جريدة الأهرام فى ٢٠٠٢/١١/٩ فى حينه وجاء بعنوان :

«السياق الحرج» وكتاب فريدمان الأخير

لا تتسع مساحة هذا المقال للخوض فى نظريات ونماذج التحليل ، التى يعنى بها علم اللغويات بصفة عامة ، ولغويات التفاوض بصفة خاصة ، فيما يتعلق بمفهوم السياقية (CONTEXTUALITY) فتحديد معنى الأحداث والأفعال ، كلمات

كانت أو عبارات ، نصوصاً أو تفاعلات ، لا يمكن أن يكون خارج السياق ! ذلك المفهوم الذى يتدخل فى تحديده إما نص أو نصوص أو فى حالات تقويم الأحداث السياسية وغيرها يتسع الأمر للفهم الدقيق للظروف الدولية والمحلية والمناخ السائد ... إنه وفى إطار مفهوم السياق العلمى المعنى بفهم الحدث طبقاً لظروفه الحقيقية ، وليست المقحمة عليه ، نحاول أن نلقى ضوءاً على كتاب فريدمان الأخير مع تقديم قراءة لعدد من مقالاته أتعرض إليها تفصيلاً فى بحث آخر ، عن الحوار والتفاوض فيما يتعلق بـ «الإسلام والغرب» .. وكتاب فريدمان هذا جاء بمناسبة مرور عام على أحداث سبتمبر ٢٠٠١ م وعنوانه «خطوط الطول والمواقف : استكشاف عالم ما بعد ١١ سبتمبر» . (LONGITUDES & ATTITUDES EXPLORING THE WORLD AFTER SEPTEMBER)

ومع الأسف لم أحصل على هذا الكتاب لكى أقرأ ما به ، ولكننى رصدت موجزاً له ، وكذلك تعليقاً عليه .. يقول الموجز المنوه عنه فى النيويورك تايمز : «إنه كتاب جديد لكاتبه فريدمان ، يرصد ويجمع فيه مقالاته وتقاريره عن أحداث سبتمبر وأسبابها وتأثيراتها ، كما أن الكتاب يتضمن يومياته التى كتبها بمعايشته للأحداث والتى عنونها بعنوان «السفر فى عالم بلا حوائط أو أسوار» ، كذلك مجموعة الأعمدة التى كتبها عن أحداث سبتمبر على مدى عام كامل .

أما التعليق الذى وجدته عن الكتاب فهو لمارك ميموت وهو أحد كتاب جريدة يو إس توداى بتاريخ ٢٠٠٢/٩/١٢ ، الذى ينتقد كتاب فريدمان **فيصفه بأنه ملئ بالحشو والتكرار** ، وهذا كان غير متوقع من كاتب مثله ، حيث يشير إلى الملل الذى يحدث للقارئ ، حيث أن هناك ١٥ عموداً كتبها وكلها محور حول نفس الموضوع الخاص بأن «اللوم يقع على الدول العربية ، فيما يتعلق بزوايا بعينها قد أدت إلى أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ، ويقول مارك ... إذا لم يلاحظ القارئ هذا التكرار الشديد عند فريدمان في أعمدته ، إلا أن نفس القارئ يلاحظ ذلك بشدة عندما تتجمع الأعمدة فى كتاب واحد .. وأن الكتاب فى نهاية الأمر لم يقدم تحليلاً جديداً .. وبعد هذه المقدمة أقول إن الأخطر بكثير من التكرار والملل طبقاً لقراءة تحليلية لكاتب السطور فى أعمدة فريدمان فى إطار البحث الذى أنشغل به عن مفهوم «السياقية» فى تفاعلات ما سمى بالحرب ضد الإرهاب ، وفى تفاعلات الصراع العربى – الإسرائيلى كذلك ، هو عدم العلمية والاختزال الواضح فى رصد السياق الدقيق أو الحرج لأحداث محورية فى تاريخ الصراع الفلسطينى – الإسرائيلى بخصوص الموضوع الأول فى الإعلام الأمريكى عن كل من «الحرب ضد الإرهاب» وعن «الصراع الفلسطينى – الإسرائيلى».. ففى عمود لفريدمان تحدث فيه عن موضوع

«السياق الحـــرج» تحديداً (CRITICAL CONTEXT) بتاريخ ٢٠٠٢/٤/٧ ذكر ما يلى :

«إن السيد بوش قد أدان الرئيس عرفات أكثر مما أدان شارون ، لأنه يدرك أن العرب قد تجاهلوا سياقاً محدداً وهو أن شارون لم يأت من الفراغ الخارجى ... حيث أنتخبه الشعب الإسرائيلى بعد أن أنصرف عرفات من كامب ديفيد الثانية ، تاركاً بذلك أفضل فرصة تاريخية غير مسبوقة لإنشاء الدولة الفلسطينية ، وهى التى جاءت فيما عرف بخطة كلينتون ... لقد رفض عرفات الخطة وفضل اختيار «الضغط العسكرى» بدلاً من الدبلوماسية واللاعنف للحصول على المزيد من إسرائيل ، ولذلك لجأت إسرائيل إلى شارون لكى تنتقم .. هذا هو «السياق الحرج» الذى رفض جورج بوش أن يتجاهله ... انتهى كلام فريدمان .

وخطورة الأمر أن هذا العصر يسمى ضمن مسمياته العديدة بـ «عصر الصحافة» وبـ «عصر التاريخ الصحافى» .. أى أن الصحفى يعتبر المؤرخ .. برصده لوقائع الأحداث وتفاصيلها .. والأمر الأخطر هو هذا الواضح فيما يتعلق بالتاريخ الصحفى إذا جاز التعبير ، الذى يستخدم ويوظف كأحدى المرجعيات فى عمليات التفاوض وإدارة الصراعات .. وبالرغم مما تضمنه مقال فريدمان من مغالطات عدة ومفردات متجاوزة للحقائق ، فإننى أود التوقف هنا عند مفهومه بخصوص «تجاهل السياق الحرج» .. ولعلى لا أقدم هنا تفنيداً مباشراً لمفهوم «السياق الحرج» عند توماس فريدمان .. بل أجد من المهم أن نعرض لمفهوم إستدعاء «السياق الحرج» ومحاولة رصده من خلال توماس آخر .. وهو توماس جيفرسون ، الذى كتب مقالاً بعنوان «من الذى جلب الإرهاب؟» ٢٠٠٢/٥/٢ فى جريدة ARAB NEWS ما نصه :

«إنه وبينما يتحدث رئيس وزراء إسرائيل الحالى عن الإرهاب ، يتناسى البعض البحث عن السؤال المحورى التالى : من بدأ الإرهاب فى المنطقة فى العشر سنوات الأخيرة .. إنه وفى ٢٥ فبراير عام ١٩٩٤ أى أقل من ستة أشهر بعد المصافحة الاتريخية بين عرفات ورابين دخل باروخ جولدستاين إلى الحرم الإبراهيمى وقتل خمسين من المصلين بالمسجد ، ولقد كان باروخ عضواً فى كاخ وفى عصبة الدفاع اليهودى المؤسسة من قبل مائير كهانا فى نيويورك فى الستينيات .. إن كاخ المرتبطة تماماً بشارون تعد من المنظمات المرصودة على قائمة المنظمات الإرهابية فى قائمة وزارة الخارجية الأمريكية ، ويضيف توماس جيفرسون قائلاً : «إنه وبذلك الإرهاب اليهودى بدأت حلقة العنف مرة أخرى فى الأراضى المقدسة التى لم تنته إلى اليوم.. لقد جاء هجوم باروخ جولدستاين فى الوقت الدقيق ، عندما بدأ كل من عرفات ورابين تطبيق مقررات إتفاقية أوسلو ، التى تم فيها إقرار مبدأ إنشاء الدولة الفلسطينية

فى عام ١٩٩٨ .. إنه وبعد ضربة جولدستاين فى الحرم الإبراهيمى بشهرين ، بدأت حماس أو العمليات الانتحارية» ويضيف جيفرسون قائلاً : «إن عرفات فى ذلك الوقت ، قد قاد حملة كبيرة ضد الإرهاب الذى أراد ضرب تحالف رابين وعرفات .. إلا أن ما قضى على ذلك التحالف لم يكن من الجانب الفلسطينى بل جاء من أحد أعضاء اليمين المتطرف اليهودى ، الذى قام باغتيال رابين فى ٤ نوفمبر عام ١٩٩٥م . وهو الذى وصف رابين الحاصل على جائزة نوبل للسلام حينذاك بالخائن ، ويضيف جيفرسون فى رصده للحقائق التى نعتبرها رصداً لمفهوم «السياق الحرج» الذى تغافله فريدمان قائلاً :

«إنه وبعد مرور عام على تولى باراك للحكم ، قام شارون بإحداث أكبر الأزمات بدخوله وقيادته لعملية انتهاك الحرم الشريف فى ٢٨ سبتمبر عام ٢٠٠٠ ... وفى هذا ما يؤكد ما قاله يوسى ساريد فى هارتز فى ٢٠٠٢/١/٣» «بأن ما يخيف شارون حقيقة هو أى بادرة للاعتدال ، فإذا ما هدأت الأوضاع وعادت الأطراف إلى مائدة التفاوض ، فإن مثل هذه الأوضاع تخيف شارون ويضيف ساريد قائلاً :

«إن ما يخيف شارون ليس المتطرفين بل المعتدلون ، الذين يعتبرهم أعداءه فحربه مع الإرهاب (كما يدعى) هى حرب سهلة . أما الحديث مع المعتدلين فهو ما لا يملك مهاراته ويعتبر أمراً خطيراً يجب تجنبه» .

ويختتم جيفرسون طرحه قائلاً: «إن هدف شارون هو وجود قوة فلسطينية رافضة ليتعامل معها ، ويمكنه من خلال ذلك أن يقول للعالم : «أنظروا .. إننا لا نستطيع التعامل مع الفلسطينيين . إنهم كلهم من الإرهابيين وأنه عليه التصدى للإرهاب» .

خلاصة القول إن مفهوم «السياق الحرج» يتمثل فى وجود ممارسات قوة احتلال قمعية ووحشية ، خربت الاقتصاد وصادرت الأرض وحاربت الفلسطينيين فى كل أوجه الحياة الإنسانية ، وأن حماس والمنظمات المماثلة لم توجد إلا بعد حرب ١٩٦٧ لإسترداد الأرض ومقاومة المحتل . ولقد كان ومازال «السياق الحرج» الحقيقى هو «الاحتلال وممارساته القمعية اللانسانية» وبداية نهاية حلقة العنف التى نراها اليوم ، والتى تروع الآمنين تبدأ من وقف الاحتلال وإنسحاب قواته ، ورفع كل أشكال التنكيل والحصار المفروض على الشعب الفلسطينى ، والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .

ثانياً : سياق النص الدينى المغلق والنص الدينى المفتوح
Contextuality of open - Religious Discourse vs. closed - Religious Discourse

أرى من خلال تحليل كم كبير من التفاعلات ، أن أخطر ما فى أزمة «الحرب العالمية ضد الإرهاب» تلك التفاعلات والأمثلة التى حولت العداء فى ذهنية المتلقى الأمريكى والغربى إلى الإسلام ذاته – ظلماً وعدواناً – مستغلة فى ذلك خطاب القاعدة المتطرف ولاشك ، ولكن قد تحالف مع القاعدة «خبراء القائمة الإعلامية».. أى هؤلاء «الخبراء» عن الإسلام فى الإعلام الأمريكى بكثافة غير مسبوقة مما رسخ فى العقل الأمريكى حالة من العداء أو التحفظ الكبير مع استغلال حالة الهلع العام التى نتجت عن أحداث سبتمبر ٢٠٠١ .

وهنا يمسك من أسموهم «الخبراء فى شئون الشرق الأوسط» من أمثال دانيال بايبز وبرنارد لويس وغيرهما بنصوص قرآنية فيخرجون بعضها عن سياقها فى كثير من الأحيان أو يدخلون فى خضم ما أسميته بالنص المغلق للأديان .

وهو ذلك النص الذى يوجد به ما يجعل كل دين له طرحه الخاص به والمغاير للدين الآخر ، فى حين أن «النص المفتوح» للأديان هو المقصود بتلك الآليات والمنطلقات الموجودة بكل دين تحث اتباعه على المعاملة الحسنة للآخرين بغض النظر عن دينهم واعتقادهم والحوار والتفاعل بالتى هى أحسن لصالح النماء والتقدم الإنسانى وأخوة البشر .

ومما زاد من هذا الأمر سوءاً هو أخطاء موجودة فى تراجم النص القرآنى والتى سنفصلها فى بحث قادم إن شاء الله وتحتاج إلى جهود كبيرة من المتخصصين .

وهناك كتابات عديدة وضعت أمام صانعى الساسة من المحافظين الجدد – ممن لديهم الاستعداد لعدم التأكد من صحة ودقة البيانات المقدمة لهم لأنها تخدم اتجاهات مهمة فى أجندتهم المعروفة فى ترديف الإسلام بالإرهاب . وأكثر هذه الأمثلة خطورة هو الإدعاء بأن النص القرآنى الكريم يحث المسلمين على إشاعة الإرهاب حيث ترجمت كلمة «ترهبون به عدو الله وعدوكم» إلى (Terrorize) ومن قدم هذه الترجمة غير الدقيقة بل والخاطئة إفتقد القدرة على فهم فعل «الإرهاب» "Act of Terrorism" فى اللغة والثقافة الإنجليزية وما له من الدلالات البالغة السلبية والسوء وبين مفهوم قيمة المعنى (Semantic value) فالإرهاب يعنى «فى الإنجليزية» وكذلك فى العربية ترويع الأمنين ولكن المعنى مختلف تماماً فى الآية الكريمة ومن المهم تأمل هذه الآية الكريمة فى سياقها الصحيح .

يقول المولى عز وجل : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . (الأنفال ٦٠، ٦١)

وهنا نعلق بالشرح فنقول :

١ – إن الآية نزلت فى بدايات الإسلام ، وهنا تحث الآية الكريمة المسلمين على إعداد كل أنواع القوة (ما استطعتم من قوة) (قوة مادية ومعنوية اقتصادية .. نفسية احتوائية .. كل أنواع القوة .. ويأتى بعد ذلك القوة العسكرية «ومن رباط الخيل» .. لفرض إحترام الآخرين للمسلمين وهيبتهم المرتبطة بالقدرة على الدفاع عن أنفسهم إذا ما أعتدى عليهم أحد . الهدف هنا لا يمكن أن يكون «الإرهاب» Terrorism بمعنى ترويع الآمنين كما هو فى اللغة الإنجليزية أساساً إذن كلمة «ترهبون به عدو الله» معناها السياقى هو الردع (to deter) أو "To ward off the aggressor"(صد المعتدى) وكذلك يمكن ترجمة «ترهبون به عدو الله وعدوكم» (so as to instil wholesome respect) للتأكيد على المعنى المقصود باللغة العربية من حيث أهمية فرض إحترام عدوكم الكامل لكم ولقوة ردعكم إذا حدث الاعتداء أولاً ..

٢ – إن أى معنى لأى جملة أو مقولة يتحدد أكثر وأكثر بما يسبقه أو يتبعه أو يتاخمه "Semantic Adjaceney" .. وهنا لابد من النظر إلى الآية ٦١ من سورة الأنفال – أى التالية للآية ٦٠ المذكورة .. وهو طلب المسلمين أن يكونوا على أتم الاستعداد لأن يجنحوا للسلم إذا جنح من أعتدى .. حتى ولو فى منتصف القتال .. وهو الأمر الذى يبتعد تماماً عن مفهوم «الإرهاب» الذى روج له المروجون من المتعسفين المخطئين وكذلك من جراء الترجمة الخطأ التى ارتكبها مترجمون بقلة علم وخبرة وفهم لجوهر معانى النص الكريم .

وعموماً .. فإن موضوع ترديف كلمات «الإسلام» و «الإرهاب» و «العرب» كانت دائرة بكثافة قبل أحداث سبتمبر .. وخطورة الأمر أن هذا الموضوع قد شهد نقلة نوعية (سيئة) حيث انتقلت عمليات الترديف هذه من صياغة النصوص الإعلامية إلى الدخول فى خضم «النص الدينى» بغير علم . وفى هذا الإطار فى الحديث وهنا نود أن نذكر بالإضافة إلى المثال السابق أمثلة عن النص الدينى نود أن نشير إلى أهمية التفريق بين «النصوص المغلقة» و «النصوص المفتوحة للأديان» .. وللتوضيح الأكثر لهذا البعد السياقى أرصد فى هذا السياق ذلك المقال الذى كتبته فى الأهرام قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وأرسلته بنفس محتواه لمجلة التايم رداً على ما نشرته فى عددها الخاص عن أهم شخصيات الألفية السابقة (عدد ٢١–٣١ ديسمبر ١٩٩٩) واختارت إينشتين للقرن المنصرم وصلاح الدين الأيوبى للقرن الحادى عشر ضمن آخرين عن كل قرن منصرم . وقد جاء ما كتبته بعنوان : "When shall people stop Infideling each other" بالعربية «متى يكف الناس عن «تكفير» بعضهم البعض ..»

وفيما يلى نص ذلك المقال الذى نُشر لكاتب السطور فى الأهرام (٢٠٠٠/٥/١٤) .

«صلاح الدين» و «أينشتاين» ودروس من الماضى للمستقبل

ما الذى يمكن أن يجمع بين القائد صلاح الدين الأيوبى وبين العالم ألبرت أينشتاين ؟ .. سؤال نقدم هذا المقال للإجابة عنه . وبداية أقول أن أول من جمع بينهما صفحات ذلك العدد الخاص لمجلة التايم الأمريكية فى ليلة الألفية الثالثة (٩٩/١٢/٣١) ، حينما أختارت المجلة ألبرت أينشتاين كشخصية للقرن العشرين والناصر صلاح الدين كشخصية للقرن الثانى عشر ، ضمن شخصيات أخرى لقرون الألفية .

إن القراءة التفاعلية لتحقيقات مجلة التايم فى ذلك العدد ، بخصوص الشخصيتين المشار إليهما تمكننا من استخلاص دروس فى غاية الأهمية على عدة أصعدة ومن أهمها ما يتعلق بالمعايير الإيجابية التى نحتاجها لإدارة الحوارات عبر الثقافات والحضارات والأديان والتعرف كذلك على العوائق والسلبيات لتجنبها .. ولعلنا نرصد هنا ما يلى :

١ – عن الإعلام الغربى واستراتيجية إصطناع الموضوعات مع «التفتيت» والإساءة تأتى تغطية التايم عن شخصية صلاح الدين الأيوبى كمثال تطبيقى واضح لما أسميه «**بإصطناع الموضوعية مع التفتيت والإساءة**» وهى استراتيجية تمارس كثيراً من قبل الإعلام الغربى فى كثير من التفاعلات والأحداث ، خصوصاً فيما يتعلق برموز وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، فعلى صعيد الجانب الإيجابى الذى يتسم بكثير من الصدق من أجل المصداقية أو الحد الأدنى منها. ثم وصف شخصية صلاح الدين بأنها كانت تعبيراً عن «التسامح المثالى» . وأنه قد سمح للحجاج المسيحيين بالحج إلى القدس بعد سقوطها ، وأن القدس فى عهده قد أصبحت مدينة لكل المؤمنين . وأن المسيحيين يقدرون خلق صلاح الدين النبيل وأسلوبه فى التعايش مع الآخرين ، حتى أن طبيبه الخاص كان الحكيم اليهودى ابن ميمون كما أن شخصيته قد صورت فى الروايات الرومانسية للسير «والتر سكوت فى شكل شخصية «الخصم الجدير بالاحترام» و «الفارس الأسطورى» وأن هذه الروايات يقرؤها العالم على مدار الـ ٢٤ ساعة فى موقع (AmaZon. Com) .

إذا كان ما سبق يمثل جانباً حقيقياً وموضوعيات فيما يتعلق بشخصية صلاح الدين إلا أن تعبير «جنوده المحتلون للقدس» تعتبر من جزيئات طمس الحقائق وتزييف التاريخ . فصلاح الدين وجنوده لم يحتلوا القدس بل أنهم استردوها وحرروها من الاحتلال الصليبى فى ذلك الوقت .

كذلك فإن أى كلام إيجابى قد تم الإطاحة نهائياً به من خلال عنوان التحقيق الذى جاء كما يلى «صلاح الدين .. ذلك» «المغامر الكردى» الذى أثبت للصليبيين بأن الله قد يقف إلى جانب «كافر» (والعياذ بالله» والعنوان يحتاج إلى وقفتين مع تعبيرين يعبران عن أسلوب «التفتيت والإساءة» الذى ينتهجه الإعلام الغربى .

فلقد وصف صلاح الدين بأنه «المغامر الكردى» فى الوقت الذى يعتبر صلاح الدين وبكل موضوعية تاريخية مستقرة فى الوجدان العام قائداً مسلماً يتسم بالسماحة والحسم ونبل الخلق وله شخصية كارزمية استطاع من خلالها أن يوحد كلمة الأمة العربية الإسلامية ، وأن يكون بحق خادماً متواضعاً ونزيهاً لقضية من أقدس قضاياها ، وهى استرداد الأرض عندما يطمع فيها الغزاة ويحتلونها ، ولو كان الأمر «التفتيتى» كما تدعى التايم بأنه مجرد مغامر كردى – مع الاحترام للأكراد ولكل الجنسيات ، لما كان فى مقدور صلاح الدين أن يحصل على ذلك التأييد الجارف والولاء الذى حصل عليه ليوحد جيوش العرب والمسلمين ويقودها وينضم تحت لوائه ويناصره الأخوة المسيحيون من مواطنى هذه الأرض العربية .

كذلك فإن وصف التايم لصلاح الدين «الكافر» من خلال الرجوع إلى موسوعة دانتى والترويج لهذا الأسلوب المسئ فى مجلة معروفة مثل التايم ليمثل إساءة بالغة وهبوطاً شديداً بالدور الذى لابد أن يلعبه الإعلام الحر المسئول فى هذا العصر، والذى يمثل أهم قنوات وخلفيات الحوار عبر الثقافات والأديان والحضارات .

وهنا لابد من وقفة حاسمة وموضوعية وتوصيل رسالة هامة من أجل إقامة حوار منضبط عبر الثقافات والحضارات والأديان ، وبداية نقول ان الحقائق التى «لا تكذب» تفيد بأن كل دين من الأديان فى عالمنا له معاييره الخاصة جداً فى تعريفه لمفهوم «الإيمان» و «الكفر» وهذا ما أسميه «بالنص» الدينى المغلق» على أهل كل دين من الأديان .

للتفاصيل راجع بحثاً لكاتب السطور بعنوان «آليات وتوجهات الخطاب الدينى المؤسسى – تقرير الحالة الدينية – مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ١٩٩٦» وما نؤكد عليه هنا أنه لا ينبغى الخوض فى هذا «النص الدينى المغلق» فى الحوار عبر الأديان والثقافات والحضارات بل يجب التركيز على إيجاد أرضيات مشتركة بين الأديان والثقافات تمكن بنى البشر فى كل مكان من المشاركة فى البناء وحل المشاكل وإدارة الاختلافات التى هى واقع إنسانى وسنة من سنن الله فى هذا الكون لا ينكرها عاقل وهذا يستلزم الابتعاد

النهائى عن «لغة التكفير» التى يقع فيها البعض ومن بينهم مؤخراً «تحقيق التايم» . والعمل على انتهاج لغة معترفة بهذا الاختلاف ومحترمة له والعمل على إدارته بشكل إيجابى لأنه من سنن الله فى الأرض وفى الخلق «ولن تجد لسنة الله تبديلاً» .

٢ – أمر «القدس» المفتقد والمشوه فى تغطية التايم : أغفل تحقيق التايم أن احتلال القدس العربية كان هو مصدر الصراع أثناء الحروب الصليبية وأنه لا يزال يمثل لب الصراع العربى الإسرائيلى فى كثير من الأوجه وإن عدم إحقاق الحقوق هو الدرس الذى لابد أن تستفيد منه البشرية للتعلم من دروس التاريخ من أجل مستقبل أفضل .

٣ – ما بين صلاح الدين وألبرت إينشتاين لابد هنا من القول بداية أن القراءة التفاعلية للتحقيق بشأن العالم أينشتاين تفيد بأن تأثير نظريته للنسبية فى مجال الفيزياء لم يكن مقصوراً فقط على مسار التقدم العلمى والتكنولوجى بل امتد هذا التأثير الإيجابى على الوعى المجتمعى والإنسانى والمعرفى العام إلا أن التحقيق لم يتضمن أى إشارة فيما يتعلق بنظرية «النسبية اللغوية» وأجد أهمية خاصة للإشارة العابرة لها حيث أنها تتعلق بتأثير أنماط اللغة وأنماط الفكر على استراتيجيات استخدام اللغة وتثير الأسئلة الخاصة بما هو معبر عن الخصوصية الثقافية وماهو معبر عن اللغة العالمية أو «العالميات فى اللغة» وفى هذا ما يتعلق بما أثرناه فى هذا المقال بخصوص معايير الحوار عبر الثقافات والأديان ويمثل مدخلاً لسمة عالمية مشتركة ولائقة أجدها من قراءة شخصيتى الناصر صلاح الدين وألبرت أينشتاين وهى التواضع مع الإيمان بقدرة الخالق عز وجل . فلقد أفاد تحقيق التايم أن أينشتاين قد ذكر :

«نحن لا نتجاوز مجرد ذرة أو بقعة فى هذا الكون الذى لا يمكن إدراك إتساعه. وكلما تمكنا من إكتشاف شئ عن القوة الجبارة المحركة لهذا الكون ، كنا أكثر إقتناعاً بضرورة التواضع» (ص ٣٢) .

كما أنه كتب : «أنه يؤمن بالله الذى تتجلى صفاته فى هذا التوافق والانسجام الربانى الذى تدار به حركة الكون . وهذا يجعله يرفض مذهب من يقولون بعشوائية الكون» (ص ٣٢) .

والمتأمل لمقولات مثل هذا العالم الكبير لابد أن يستدعى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (سورة فصلت ٥٣) وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (سورة الواقعة ٧٥)

وقوله تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ (سورة الرحمن ٧) وهذه الآية الكريمة تفيد بأن الخالق عز وجل قد وزن كل شئ فى هذا الكون بميزان دقيق وأمر بنى الإنسان ألا يطغوا وألا يفسدوا تلك الأمور الموزونة بدقة فائقة . ولعلنا نؤكد هنا أن أهم دروس الماضى والمستقبل ، خاصة فى حوار الثقافات والحضارات والأديان – هى أن يتحلى إنسان هذا العصر بعدم الطغيان والإيمان بسنن الله فى الكون وفى البشر وبعدم الإساءة للآخرين وأن تكون تفاعلاتنا جميعاً على أساس من العلم والتواضع وإحقاق الحقوق .

ثالثا : تسلطية ابتسار المعنى
Authoritarian strategy of decontextualization

وهى تلك الممارسات التى يقوم فيها متفاعل ما بالتبسيط المخل وابتسار المعنى وإخراجه عن السياق السليم الكامل لتحقيق أجندة بعينها وليس للحوار الإيجابى .

رابعاً : لغة الإستعلاء التسلطى بفرض المفاهيم والنماذج ولغة الإدانة الضمنية والصريحة

«وهى سمة أخرى موجودة فى تفاعلات «العقل الأمريكى» و «العقل العربى» وتناولناها فى مناظرات عديدة نشرت فى جريدة الأهرام .

وفيما يلى نصين لتوضيح «ثالثاً» و «رابعاً» . وهما مناظرتان منشورتان فى جريدة الأهرام نقدمها فى هذا السياق الأولى بتاريخ ٢ مارس ٢٠٠٢ عن توجهات الإعلام الغربى تجاه الإسلام ودور «الخبراء» الذين يمثلون أجندة مضللة تزيد من تضليل «العقل الأمريكى» بخصوص قضايا العالم العربى والإسلامى العادلة ووصمها بما ليس بها والثانية مناظرة لفكر «نهاية التاريخ» ومحاولات الهيمنة وفرض النموذج وهى بتاريخ ٢ مارس ٢٠٠٢ .

إنهم خبراء تحكمهم النمطية والقولبة ويتجاهلون واقعنا

١ – إشكالية ابتسار «إعلام القائمة الموجه» :

إن مقال زاخارى المنشور بمجلة النيوزويك (٢٠٠٢/١/١٤) بعنوان «معركة يخوضها الخبراء» لم يكن استثناء عن طبيعة «إعلام القائمة» الشائع فى الإعلام الغربى بخصوص قضايا العرب والمسلمين منذ عدة سنوات والمقصود «بإعلام القائمة» هو وجود قائمة من «الخبراء» عن العرب والمسلمين لا يستعين الإعلام الغربى إلا بهم عادة وهنا لا تخرج التحليلات عن مدارك وتوجهات أغلب هؤلاء الخبراء وهم عادة يعلمون ما الذى يراد لهم أن يقولوه ولذلك تتسم تحليلاتهم كثيراً بالنمطية والقولبة stereo typing وبمجرد ذكر اسم أحدهم تستطيع إكمال ما سيقوله غالباً . ولقد تناقشت فى هذا الأمر باستفاضة فى حوار لى مع هودنج كارتر المستشار الإعلامى للبيت الأبيض فى عهد جيمى كارتر والأستاذ بجامعة ميرلاند وهو الإعلامى الأمريكى المعروف . ولقد ذكر لى أن «اعلام القائمة» هو مشكلة كبيرة

(c. 1138-1193)

saladin

The Kurdish adventurer proved to the Crusaders that God had no trouble favoring an "infidel"

When Dante Alighieri compiled his great medieval *Who's Who* of heroes and villains, the *Divine Comedy,* the highest a non-Christian could climb was Limbo. Ancient pagans had to be virtuous indeed to warrant inclusion: the residents included Homer, Caesar, Plato and Dante's guide, Vergil. But perhaps the most surprising entry in Dante's catalog of "great-hearted souls" was a figure "solitary, set apart."

That figure was Saladin. It is testament to his extraordinary stature in the Middle Ages that not only was Saladin the sole "modern" mentioned—he had been dead barely 100 years when Dante wrote—but also that a man who had made his name successfully battling Christianity would be lionized by the author of perhaps the most Christ-centered verse ever penned.

When Salah al-Din Yusuf ibn Ayyub was born in 1138 to a family of Kurdish adventurers in the (now Iraqi) town of Takrit, Islam was a confusion of squabbling warlords living under a Christian shadow. A generation before, European Crusaders had conquered Jerusalem, massacring its Muslim and Jewish inhabitants. The Franks, as they were called, then occupied four militarily aggressive states in the Holy Land. The great Syrian leader Nur al-Din predicted that expelling the invaders would require a holy war of the sort that had propelled Islam's first great wave half a millennium earlier, but given the treacherous regional crosscurrents, such a united front seemed unlikely.

Saladin got his chance with the death, in 1169, of his uncle Shirkuh, a one-eyed, overweight brawler in Nur al-Din's service who had become the de facto leader of Egypt. A seasoned warrior despite his small stature and frailty, Saladin still had a tough hand to play. He was a Kurd (even then a drawback in Middle Eastern politics), and he was from Syria, a Sunni state, trying to rule Egypt, a Shi'ite country. But a masterly 17-year campaign employing diplomacy, the sword and great good fortune made him lord of Egypt, Syria and much of Mesopotamia. The lands bracketed the Crusader states, and their combined might made

صورة الناصر صلاح الدين كما ظهرت فى عدد التايم المشار إليه فى المقال

فى الإعلام الأمريكى بخصوص قضايا العرب والمسلمين وتفاصيل هذا الأمر كثيرة ولا يتحدث عنها ويعيها هودنج كارتر فقط بل عدد من الخبراء المنصفين من أمريكا وخارجها يعرفون هذه الحقيقة ، وتفاصيل هذه الأمور فى لقاءات وحوارات أجريتها ومدونة فى كتاب لكاتب السطور بعنوان «التفاوض وإدارة المقابلات : أمثلة من تفاعلات أشهر السياسيين والإعلاميين» مكتبة العبيكان الطبعة الثانية ٢٠٠١ (الرياض) ولاشك إنه بالرغم من أن الإعلام الإمريكى موجه للغاية منذ فترة ، إلا أنه ومما لاشك فيه عندى إنه وبالإلحاح الإيجابى على طرح وجهة النظر الأخرى المغايرة سنجد الفرصة لكسر احتكارات «اعلام القائمة» . وهناك دائماً هامش موجود لمن يريد أن ينتصر للحق وهناك دائماً فرص لتوسيع الهامش خاصة إذا كان العمل الدبلوماسى العربى جماعياً ومرتبطاً بتحركات على أرض الواقع وهذا كلام تؤكده ممارسات بعينها لمن عايشها .

٢ – إشكالية التبسيط المخل «نحن» و «هم» «وهذا التاريخ الطويل» :

ورد فى مقال زاخارى «إن الأمور على صعيد الرأى العام تتطلب التبسيط وإحدى طرف الفهم للصراع الحالى هى أن تقول «إن الأمر يتعلق» بنا فى مواجهتهم Us and Them . ثم يفيد بعد هذا التقديم أو هذا «التبسيط المخل» أن هذا هو أسلوب برنارد لويس خاصة ، فيقول على لسانه «إن إرهاب اليوم هو جزء من كفاح طويل بين الإسلام والغرب» ثم يشير إلى مقاله الأخير فى النيويورك تايمز بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ليؤكد مقولة «الثنائية المتعسفة » ، «الإسلام فى مواجهة الغرب» ولقد أحسن زاخارى حين أورد مقولة إدوارد سعيد ذلك المفكر والكاتب العربى الذى فرض وجوده وحضوره القوى والذى يعتبر من استثناءات «أعلام القائمة» لأنه ببساطة لا يمكن تجاهله . كذلك فإن حاجة الإعلام العربى دائماً لإضافة «توليفة المصداقية الحرفية» . حتى وإن كانت شكلية وجزئية مع الحضور القوى لمثال إدوارد سعيد يمكن من «كسر» احتكارات «أعلام القائمة» . وهنا يرد إدوارد سعيد على تلك الثنائية الاختزالاية التبسيطية لبرنارد لويس والمؤججة حقيقة لأزمة «الحرب الجديدة ضد الإرهاب ، فمحاولة تصوير لويس إن الإسلام فى مواجهة الغرب بدليل بيانات أسامة بن لادن . تجعله ينتهى إلى الاستخلاص المنطقى بأن على الغرب أن يرى العلاقة كما يراها «الخصوم» . وبالإضافة إلى ما أورده د. إدوارد سعيد فى الرد على هذا الطرح والموضح بمقال زاخارى ، نذكر أننا قد تناولنا المقولة وتنوعات الخطاب الذى ترد فيه فى بحث سابق بعنوان «لغويات الوعى واللاوعى كبعد جديد فى إجراءات بناء الثقة» والذى تم تقديمه فى سمنار خبرة منظمة الأمن والتعاون الأوروبى (OSCE) فى مجال بناء الثقة والذى عقد فى ضيافة وزارة الخارجية

المصرية بالقاهرة فى ٢٦-٢٨ سبتمبر ١٩٩٥ وكذلك أوردنا تعليقاً مفصلاً عن هذا النمط فى مناظرة بالأهرام (٢٠٠١/٢/٣) لمقال الكاتب جون منرو جاء عنوانه مباشرة «الإسلام ونحن» والذى يوضح بجلاء أن ترويج هذه المواجهة المفتعلة كانت بقيادة الإعلام العربى قبل أن يصدر السيد أسامة بن لادن خطاباته وأشرطة الجزيرة التى أعلن فيها عما اتخذه برنارد لويس ذريعة لتأكيد «نحن» و «هم» الافتعالية والموجهة لبؤرة إحداث استعداء ضخم وغير مسبوقة ضد كل الأمة العربية والإسلامية من قبل دوائر معروفة سهل مهمتها من «اختطفوا الإسلام» وتحدثوا باسمه ويعلمهم الغرب ويعى كينونتهم جيداً .

٣ - إشكالية الاستهداف الجماعى وتحويل بؤرة المشكلة :

المشكلة الملحة التى يتعين علينا مواجهتها اليوم ، هى أن الدوائر المعادية لا تكف عن خلط الأوراق ومحاولة استهداف كل كيان الأمة . فليست فقط منهاج التعليم هى المشكلة عندنا من وجهة نظر تلك الدوائر وليست فقط الحكومات العربية الإسلامية كلها ولكن المشكلة المترددة عالياً اليوم هى أن «المثقفين» فى العالم العربى والإسلامى هم كذلك جزء كبير من مشكلة الأزمة . وإذا كانت الأزمة مركبة وفكرية بطبيعتها كما هى سياسية اليوم . فلاشك أن هناك مسئولية بل مسئوليات على من يتهمون العالم العربى الإسلامى ولكن ماذا عن نسبة إسهامهم فى المشكلة إذا قيست بمظالم إرتكبها الغرب ؟ وماذا عن مسئولية الحكومات الغربية والإدارة الأمريكية والمثقفين فى الغرب تجاه أبشع الجرائم الأخلاقية التى ارتكبت وترتكب فى حق العرب والمسلمين خاصة فى فلسطين . لقد حدث وذكر أحد المشاركين فى مؤتمر الحوار الحضارى الأخير بالمغرب وكان من الأمريكيين «أن مشكلة العالم العربى أنه يربط بين مشاكل الإرهاب وبين ما يحدث فى فلسطين . والقضيتان مختلفتان ومنفصلتان وذكرنى هذا «المتحاور» بلغة فرض التصور الخاص به وببعض السياسيين فلقد ذكر جورج بوش الأب عقب حرب الخليج تعبير No Linkage أى «لا ارتباط أو ربط» بين القضية الفلسطينية وأزمة الخليج . وهو كان واعياً تماماً لحجم التداخل وسعى للضغط على إسرائيل بل عزلها فى حرب الخليج الثانية وضغط مالياً فى موضوع دعم بناء المستعمرات ودشن الدور الأمريكى الذى قاد عملية مؤتمر مدريد والتى ذهبت أثارها أدراج الرياح الآن للتعنت الإسرائيلى لانسحاب الوسيط الأمريكى من المشاركة الفعالة والمحايدة بعد ذلك . المشكلة لا تزال فى الفهم الخاطئ بأن علاج جذور الإرهاب ترتبط بوقف الإرهاب الأكبر المتمثل فى الاحتلال

الإسـرائيلى للأراضى الفلسـطينية وتدنيس المقدسات وهدم البيوت وتجريف الزراعـات والمجـازر الجماعـية التى يتعرض لها أهل فلسطين . وهى مشكلة مرتبطـة كذلـك بمشاكل الضغـوط علـى الـدول النامـية وهيمنة الشمال علـى الجـنوب واقتصاد عـولمى متوحـش وفى حجم التدهور البيئى بأشكاله التى أسـهم الغـرب فيها بالنصيب الأوفر . وستظل تتولد وتتفاقم بسبب الرؤية الأحادية لدوائر بعينهـا فى أمريكـا والغرب تريد أن تفـرض رؤيتها دون حوار حقيـقى يأخـذ بعين الاعتبار أراء وأمال وطموحات الأخرين ومصالحهم الاستراتيجية بشكل فعلى . المشكلة القائمة اليوم فى دبلوماسية الإعلام الغربى هى «لغويات أورويل» أو اللغة الأحادية المتسلطة والاستعلانية - فى أغلب الأحيان - التى لا يمكن أن تـؤدى إلى النتائج المرجوة من حوارات الدبلوماسية الرسمية أو دبلوماسية المسار الثانى التى ينبغى أن يكون للمثقفين والإعلاميين والأكاديميين فى كل من أمريكا والعالم العربى الدور الأكبر فيها . لأن الأزمة الممتدة الراهنة هى أزمة فكرية غير مسبوقة .

أهمية التصدى
للسان حال لغة الاستعلاء الأجوف والمرفوض

لقد ورد فى مقال زاخارى موضع المناظرة هنا على لسان فؤاد عجمى الأستاذ بجامعة جون هوبكنزر جزئية من نفس الكلام السابق ، والذى هو صدى لنفس كلام فريدمان وفوكوياما وكوكبة أخرى تهاجم مثقفى العالم العربى مع الحكومات مع كل كيان الأمة . وهناك فرق بين النقد الموضوعى والإلحاح على استخدام لغة الاستعلاء الأجوف والتوجيه خاصة إذا كانت من مريكيين من أصل عربى مع زملاء مثقفين وأساتذة ونخبة فى العالم العربى تدرك الأوضاع الصعبة التى يعيشها الوطن العربى ، وبها الكثير ممن يجاهدون ويكابدون فى صمت ويتقبلون النقد الموضوعى المتعاون ولكنهم يرفضون تماماً هذه الهجمة المعنوية ولغة الاستعلاء ومحاولة البعض الاصطياد فى الماء العكر .

لقد ذكر عجمى «أن المثقفين فى العالم العربى لا ينظرون إلى الداخل بعين ناقدة ، فلقد نظروا دائماً إلى الخارج لالقاء اللوم عليه..» والمشكلة الحقيقية أن هذا عين ما يفعله سيادة الأستاذ عجمى . فإننى لم أسمع أو أقرأ عن شئ يذكر كتبه يتوجه فيه بعين ناقدة للداخل الأمريكى فى أمور عديدة تحتاج إلى مثل هذه الرؤى . بل فعل ما ينتقده ونظر هو إلى «الخارج» فعلاً ولكن نحو وطنه الأم ليقول ما تحب أن تسمعه دوائر بعينها . من شحنات «تصدير الإحباط» والكلام المحبط ونظريات وصف الفشل وتأطير كل طاقات الأمة فى خانة اللا فعل واللا مبالاة والإهمال

والجمود والمستوجب للتوبيخ بدلاً من استنهاض خطاب متعاون حقيقة يدرك حجم الصعاب الحقيقية ، ولا يوظف لغة التعميم التى لا تفيد فى حل جذور المشكلات الحقيقية سواء من الداخل أو الخارج بموضوعية .

هذا بالإضافة إلى تجاهل عجمى وأمثاله جهوداً حقيقية بذلها ويبذلها قطاع كبير من مثقفى العالم العربى فى نقد الداخل ولا أدل على ذلك من حجم الدراسات والأعمال والأنشطة التى قام بها المثقفون العرب فى ظل ظروف صعبة للغاية ، لكن فى إطار هامشى للحركة يمكن من خلاله التحرك الإيجابى لمن يريد ذلك بعيداً عن الإحباط والاندهاش سواء كان محلياً من عوامل وانتاج الداخل أو «تم تصديره» من كتابات د. عجمى وغيره . وما أبوخ ما كتبه عن مصر خاصة (فى سياقات أخرى) ولا يحتاج الأمر للرد على الأوصاف المريضة التى ذكرها . بدلاً من أن يسعى لبناء جسور الحوار الإيجابى . المشكلة كما ذكرت فى بداية المقال أن عجمى وفريدمان ، وتكر وبرنارد لويس وقائمة معروفة هى التى تروج للرأى العام الأمريكى كيف ينظر للوطن العربى ، كحكومات وكشعوب وكمثقفين بلغة مقبولة لدوائر معينة ومرفوضة عندنا . أما بقية «أعلام القائمة» فهى تتمثل فى كتابات بعض المتأمركين من أصل عربى ممن لا يملكون إلا ترديد نفس مفردات وأسلوب لغة الاستعلاء والتوبيخ والتوجيه عند الكلام لمثقفى الأمة ، وبالرغم من أن الوطن الأم ودولاً عربية أخرى قد فتحت لهؤلاء منابرها الإعلامية المحترمة ليعتليها هؤلاء وليشاركوا فى الإدارة الإيجابية للأزمة الممتدة التى يعيشها العالم والوطن العربى معه ، إلا أنهم لم يتخلوا عن هذه اللغة التى تعلموها من دوائر معينة تستخدمها ، وها هو واحد من هؤلاء كنت أتمنى له ألا يفعل ذلك يتحدث عن مثقفى العالم العربى فيصفهم «بجنرالات المقاهى المتقاعدين» فى قناة الجزيرة لمجرد أنهم رفضوا ترديد ما يرده هو من أراء ومقالاته الأولى عن الأزمة جاءت بعناوين «من غير لكن» و «بن لكن» ، ومشكلة هذا الأستاذ التى تستوجب النقد الموضوعى أن لغته تتسم بالاستخفاف المؤسف والاستعلاء النرجسى الأجوف والتحدث بتجهيل مثقفى الواقع العربى وأخبارهم بحدود إدراكهم مقارنة بما عند سيادته من «فكر» وفهم لتضاريس الغرب وأمريكا التى لا يفهمها إلا أمثاله ، وأهم مقترحاته إلى الآن هو أن يؤجر العالم العربى شركات دعاية خاصة تقوم بمهمة صنع صورة إيجابية للعرب والمسلمين . وكنت أود لو طرح هذا الأستاذ أراءه أيا كانت بالأسلوب اللائق الذى نقول له معه «أهلاً وسهلاً بك» خاصة أنه تم إيقافك على منابر محترمة ومهمة فى الوطن العربى، الخلاصة من هذا الاستطراد هو القول بأن عملية التحاور بلغة عجمى وأمثاله من الأمريكيين العرب تحتاج أن نقول لهم ألم تتعلموا من الدكتور إدوارد سعيد ود. إبراهيم عويس ود. حليم

The real enemy: Radical Islamists, intolerant of all diversity and dissent, have become the fascists of our day. That is what we are fighting against. BY FRANCIS FUKUYAMA

THEIR TARGET: THE MODERN WORLD

WORLD POLITICS, IT WOULD SEEM, SHIFTED GEARS ABRUPTLY AFTER SEPTEMBER 11. DURING the dot-com era (which today seems like an enchanted, long-ago time), America was on a roll. Communism, the last big competitor to liberal democracy, had collapsed just like fascism and monarchy before it, the U.S. economy was going gangbusters and democratic institutions seemed to be making headway in all parts of the world. Technology it was said, was bringing the global village closer together in ways that made traditional nation-states irrelevant. Today, everything looks different. The United States has gone to war with the Taliban and Al Qaeda in Afghanistan after suffering an unprecedentedly successful attack on its own territory. Large numbers of Muslims are now mobilized in opposition to the United States, and countries around the world are being asked to choose sides in the struggle. The economy has slumped into recession both in the United States and abroad, as security concerns throw sand in the gears of the just-in-time economy.

YOUNG WARRIORS: Palestinian boys stone Israeli soldiers in Hebron

What is going on here? Are we seeing the beginning of a decades-long "clash of civilizations" pitting the West against Islam, a conflict that expands remorselessly out of the Afghan swamp to engulf ever larger parts of the world? Will the very technologies that seemed to promote freedom, like airplanes and skyscrapers and biology laboratories, be turned against us in ways that we cannot ultimately stop? Or will the present conflict recede, and the old world of an ever-integrating global economy come back once Osama bin Laden and the Taliban are swept away and the terror network rolled up?

More than 10 years ago, I argued that we had reached the "end of history": not that historical events would stop, but that History, understood as the evolution of human societies through different forms of government, had culminated in modern liberal democracy and market-oriented capitalism. It is my view that this hypothesis remains correct, despite the events since September 11; modernity, as represented by the United States and other developed democracies, will remain the dominant force in world politics, and the institutions embodying the West's underlying principles of freedom and equality will continue to spread around the world. The September 11 attacks represent a desperate backlash against the modern world, which appears to be a speeding freight train to those unwilling to get onboard.

But we need to look seriously at the challenge we face. For a movement that has the power to wreak immense damage on the modern world, even if it represents only a small number of people, raises real questions about the viability of our civilization. The key questions that Americans face as they proceed forward with this "war" on terrorism are how deep this fundamental challenge is, which sorts of allies it can recruit and what we must do to counter it.

A CLASH OF CIVILIZATIONS?

The distinguished political scientist Samuel Huntington argues in these pages that

GROUND ZERO: The September 11 terrorists in New York City and Washington destroyed much more than buildings and lives

«لاحظ الإخراج الصحفى لمقال فوكوياما بالنيوزويك حيث تم توظيف استراتيجية التداعى السلبى Negative Association فربط حادث تفجير مركز التجارة العالمية بأطفال فلسطين «كبذور للإرهاب بدلاً من النظرة لحقيقة ما يعانيه أطفال فلسطين من احتلال قاسى وغير مسبوق فى همجيته وعدوانيته» .

بركات وعشرات من الأساتذة الأمريكيين المرموقين من أصل عربى يجيدون الحوار الحر والموضوعى على الساحة الأمريكية ويعرفون قواعد وأصول الحوار مع مثقفى ونخبة الوطن الأم بماله من حقوق خاصة جداً ، وممن سبق ذكرهم عبر لى أحدهم عن انتقاده لغة وأسلوب من أشرنا إليهم .

خلاصة القول .. إن الاهتمام بأصحاب مثل تلك الأقلام لا يعد إهداراً وعلى العالم العربى أن يسعى أساساً إلى تحويل عواصمه المهمة خاصة القاهرة والرياض إلى ساحات بها مواقع ومراكز تجذب الانتباه الإعلامى الغربى ، وأن يتم توظيف الفضائيات الموجودة توظيفاً أكثر فاعلية باللغات الأجنبية ، وأن تصدر بعض الصحف اليومية بالانجليزية وهنا أشارك الأستاذ الفاضل أمين هويدى ما طرحه فى مقاله «لمن يهمهم الأمر» بالأهرام منذ فترة وطالب فيه بأهمية القيام بهذه المهمة أو على الأقل ماذا عن أن يقوم الأهرام بإضافة ملحق يومى بالإنجليزية لأهم ما نريد توصيله للأخرين فى إطار هذه الأزمة الممتدة . ولقد طالب المفكر الفرنسى أريك رولو بهذا المطلب فى إحدى الندوات التى أجريت بالرياض فى إطار تعاطفه مع إبراز الرأى الحقيقى من داخل العالم العربى بعيداً عن تشويه دوائر التشويه فى الغرب وأقول لسحب البساط من «إعلام القائمة» القاصر فى الغرب ومن تبعه ونهج نهجه.. خاصة أن الأمر بحاجة إلى مبادرة تتضمن مثل هذه الأفكار وغيرها لمصلحة دبلوماسية عربية تمسك أمورها بيدها لا بيد آخرين لهم مآرب أخرى تماماً والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .

مَنْ يستهدف مَنْ فى طرح فوكوياما الأخير ؟!

إن المشـــكلة الواضحة فى طرح فوكوياما – المقدم فى النيوزويك فى العدد السنوى للنيوزويك ٢٠٠٢ بعنوان إنهم يستهدفون المعالم المعاصر – مثله فى ذلك مثل هنتينجتون وكلاهمـــا من أهم منظرى السياسة الدولية الأمريكية ومن ورائهما حشد إعلامى غير مسبـــوق ، أن طروحاتهما ومن زوايا بعينها تتسم بالاختزال وبالإطلاقية الاستعلائية التى تقترب من التفعيل السياسى أكثر من البحث العلمى الذى يعنى أكثر باستجلاء جوانب الظاهرة واستهلاك مجالات التصور والتصور المخالف وصولا للحقيقة مع تكثيف لغة الحذر والحيطة من الطرح الإطلاقى المتحيز والإلحاق المتعسف ، وفى مقال فوكوياما الأخير بعنوان : «أنهم يستهدفون العالم المعاصر أو هدفهم العالم المعاصر نجد سمات التعسف فى الإلحاق والسبب والسببية . فلقد ظل يقدم من طرحه القديم تركيا والنموذج التركى كحل للدول العربية الإسلامية لتخرج من مأزقها الراهن .

كما أنه ينتقل من «الفاشية الشيوعية» فى طرحه القديم إلى «الفاشية الإسلامية» التى يتوسع فيها بشكل مبالغ فيه . مع وجود تعليقات لنا على نقاط متعددة من المهم أن نحاوره فيه إذا كان للمجتمع العلمى فى كل من الولايات المتحدة والعالم العربى أن يشاركا فى إدارة أزمة الحرب الجديدة الراهنة والممتدة التى تميزت عن غيرها فى عالم الأزمات السابقة بأنها أزمة فكرية وأزمة فى عملية التواصل عبر الثقافات . ولابد من تناولها فى هذا الإطار من أجل تصحيح حركة مباراة التحالف الدولى الراهن ضد الإرهاب بعيداً عن خلط الأوراق وتوسيع دائرة الاستعداء وتوصيف الحلول التى تتسم بمحاولة احتلال العقل وبمصادرة حق الغير فى أمور عديدة ومنها طبقاً لصراع فوكوياما حق تبنى نموذج النمو والتنمية المنتمى للثقافة الأم.

▪ تضخيم نطاق الصراع وتوسيع مجال «العدو المستهدف» :

بداية على صعيد إخراج مقال فوكوياما نجد صورة لطفلين فلسطينيين وهما يلقيان بالحجارة على جنود الاحتلال الإسرائيلى تحت عنوان المقال «هدفهم : العالم المعاصر» ثم اتباع ذلك بصورة ضخمة فى الصفحة المقابلة لمشهد تدمير مركز التجارة العالمية . مرة أخرى يتم توظيف استراتيجية التداعى السلبى فى الإخراج الصحفى التى تستحضر كل الأوصاف السلبية لمرتكبى الحادث مثل «الإرهابيين» و «الفاشية الإسلامية» و «الحقد على المدينة والعالم المعاصر» لكى تنطبق فى نهاية المطاف ليس على مرتكبى أحداث سبتمبر فقط من الإرهابيين الذين ينبغى القصاص منهم لِمَ اقترفوه ومن جرائم إنسانية مدانة ، بل على الفلسطينيين الذين يعانون أقصى مستويات الإرهاب والمتمثل فى الاحتلال .

▪ مقولة فصل «الإرهاب عن الإسلام» ثم دمج «الإرهابيين والراديكاليين بالمسلمين» فى سلة واحدة فى نهاية المطاف :

لا يخفق المحلل الموضوعى الذى يقتفى مسار البرهنة فى مقال فوكوياما الأخير فى أن يرصد ظاهرة متكررة بكثافة فى دوائر الإعلام الساعى لتوظيف أدوات تكنولوجيا العداء والاستعداء التى رصدناها فى تحليل مقال هنتينجتون بنفس العدد من النيوزويك بعنوان «عصر حروب المسلمين» . حيث يفيد الكاتب بأهمية فصل الإرهاب عن الإسلام . كما أكدت على ذلك القيادة الأمريكية فى مرات عديدة من قبل الرئيس بوش ووزير خارجيته كولن باول وكذلك من قبل تونى بلير . ثم سرعان ما نجد هذا الكاتب أو ذاك يلتف حول هذه المقولة ويلغيها بأكثر من أسلوب وبأكثر من طريقة ، وفى حالة فوكوياما هنا نجد تحت ما ذكره من وجهة نظره فيما يتعلق «الإسلام والحداثة» وهو طرح مراوغ ، أنه يستنتج فى نهايته ما يلى : «وعليه فإن

هذه ليست ببساطة «حرباً» على الإرهاب ، كما تظهرها الحكومة الأمريكية بشكل مفهوم كما أن الأمر لا يرجع وكما يذهب إلى ذلك الكثير من المسلمين إلى السياسة الخارجية الأمريكية تجاه فلسطين أو العراق ، أن الصراع الذى نواجهه لسوء الحظ ، أوسع بكثير من ذلك ، ولا يقتصر على مجرد مجموعة صغيرة من الإرهابيين ، ولكن الأمر يتمثل فى وجود عدد أكبر بكثير من الراديكاليين الإسلاميين يعد كلمة «الراديكاليين الإسلاميين» طائفة من المسلمين يصفها «بالمسلمين ممن تجب هويتهم الدينية وتعلو كل القيم السياسية الأخرى» .

▪ فوكوياما يتجاهل أن النموذج الإسلامى هو الذى أسهم فى عصر التنوير الأوروبى وإنتشال أوروبا من عصور الظلام :

إن فوكوياما هنا يتجاهل أو يجهل أن الشعوب العربية الإسلامية هى شعوب متدينة بطبيعتها وقيم الدين تجب أى قيم أخرى عندها . وأن هذه القيم لا تعنى أى عنف أو عدم استقرار بين المسلمين وبعضهم البعض وبين المسلمين وغيرهم كما ذهب إلى ذلك فى مقاله. بل إن هذه السمة خاصة عند حسن فهمها بعمق تعنى فى الواقع تبنى المقاصد الإسلامية الراقية فى النماء وإقامة العدل واعمار الكون وهى السمة التى تقدم بها ومن خلالها المسلمون فى عصر إزدهار الحضارة الإسلامية التى أضاءت ظلام العصور الوسطى فى أوروبا وأخذت بيد الغرب لتأسيس نهضته الحديثة وانتجت العلماء فى مجالات العلم المختلفة ، وهذا ما يقره كل المنصفين فى الغرب فلقد كان لابد من ظهور ابن الهيثم والبيرونى وابن سينا والخوارزمى والرازى والغافقى والكندى وابن رشد كى يتسنى ظهور لابلاس وفارادى ونيوتن ودالتون واينشتاين ، والنقطة المحورية تكمن فى أهمية وعى المسلمين بحقوق المقاصد الإسلامية فى الرقى والأخذ بالعلم والمعارف وإنشاء السلام والتعارف والتعاون بين بنى البشر على تنوعهم وإذا كان هناك نموذج إسلامى لابد من انتهاجه مع الأخذ بكل أسباب العلم والمعارف والنظم الحضارية الحديثة التى ازدهرت فى الغرب وشارك فيها جنسيات وثقافات العالم فى تطور إنسانى مشترك وبديع فى نهاية الأمر . فهو يتمثل فى الأخذ بمقومات وأسباب النموذج الذى أزدهرت به الحضارة الإسلامية فى ذروتها مع تحديث المعارف والنظم وما أنتجته الحضارة الإنسانية والغربية خاصة من إيجابيات وتقنيات متقدمة لا نبخس أصحابها أشيائهم كما أمرنا الإسلام الحنيف بذلك المشكلة إذن تكمن فى عدم الفهم الصحيح عند توصيف فوكوياما للمشكلة وللصراع مع «فئة المسلمين الذين تجب هويتهم الدينية وتعلو كل القيم السياسية الأخرى» على إطلاقها المتعسف أو حاجته لتوضيح مقصده بشكل أكثر وضوحاً . كذلك أضاف فوكوياما فئة أخرى ممن يرى أن المشكلة الكبرى معهم حين ذكر

هؤلاء النفر من المسلمين الذين ضمهم للإرهابيين والراديكاليين فى مسار طرحه وهم طبقاً لمقولته «الإسلاميون والمسلمون من النوع الذى يرفض تصديق أن مسلمين كانوا متورطين فى الهجمات على مركز التجارة العالمى وينسب تلك الهجمات إلى قيام إسرائيليين بها» وهم «ممن يشكون من سياسة الولايات المتحدة ، لكنهم يفسرون تلك السياسة على أنها جزء من مؤامرة أكبر على المسلمين ، وينسون أن السياسة الخارجية الأمريكية قدمت الدعم فى الماضى للمسلمين فى الصومال والبوسنة وكوسوفا والشيشان» ، المشكلة فى طرح فوكوياما هنا أنه لا يرى من خلال هذه المظاهر التفاعلية الشعبية لعوام الناس الذين قد يقدمون رؤى بدون دليل حاسم بخصوصها إلا فى بنيتها السطحية التى قد تكون مستقرة له ولغيره من الأمريكيين ولاينظرون إلى بنيتها العميقة وجذورها المتمثلة فى وجود أجواء ملبدة ومبررة بعدم الثقة خاصة على مدى السنوات القليلة الماضية والتى أصبحت السائدة بفعل سياسات وممارسات أمريكية وإسرائيلية اتسمت بمعايير مزدوجة صارخة وضحايا من الأبرياء فى مناسبات عالية الكثافة والتردد .

▪ «الفاشية الإسلامية» التى يفهم من طرحه إنه لا حل لها سوى «الإبادة والاحتلال» :

لا يخفق المحلل الموضوعى لمسار الطرح عند فوكوياما فى أن يرى ذروة التمهيد النصى تتجلى فى طرحه لمفهوم «الفاشية الإسلامية» التى صاحبها بعدة مفاهيم مثل «الإسلام الراديكالى» وظروف نشأته ويذكرنا ذلك بتلك الظروف التى نشأت فيها «الفاشية الأوروبية/النازية فى مستهل القرن العشرين ، ويعود فى خضم كلامه عن هذه الظاهرة ليشير إلى أن هذه الظاهرة ليس لها علاقة بالإسلام كدين أو حضارة ولكنها مرتبطة بعدم التسامح وعداء للحداثة ويسترسل فى تقديم رؤيته بتفاصيل عديدة يشرح فيها ما يعنيه من ممارسات هذه «الفاشية» التى رأى أن رقعتها ممتدة عبر حكومات عربية إسلامية متعددة .. كما أنه يرى أن هذه الفاشية «بحر يسبح فيه الإرهابيون» وأن «الفاشية الإسلامية» أصبحت تمثل تحدياً للغرب أكثر من التحدى الذى واجهه الغرب مع الشيوعية ، وإن خطورتها تتمثل فى أن تتطور الأمور وتقع فى أيدى ممارسيها الأسلحة البيولوجية وأن العلاج لجموع ممارسى «الفاشية الإسلامية» هو التدمير والإبادة والاحتلال كما حدث للنازية فى ألمانيا من قبل قوات التحالف فى الحرب العالمية الثانية .

الطرح جد خطير وتسويغ وتفسير طبيعة الصراع وتوسيعه بهذا القدر من التضخيم والتصنيع المبالـــغ فيه وتقديـــم حلول الإبادة بالقوة المفرطة أساساً بدلاً من الحوار والتفاوض وترشيد الأمور سوف يؤدى بلا شك إلى تفاقم الصراعات فى

تمهيـــــد

العالم وانفلات إدارة «أزمة الحرب الجديدة» بما لا ينفع الأطراف كلها فى نهاية المطاف .

▪ التدخل فى مناهج التعليم والتعامل مع «الفاشية الغربية» من منظور تفاوضى :

أثار طرح فوكوياما وهو فى معرض الحديث عن ملامح الفاشية الإسلامية مسألة ما يراه ويراه عدد آخر من الباحثين فى إدارة «أزمة الحرب الجديدة» من أن مناهج التعليم فى العالم العربى الإسلامى هى مناهج مولدة للعنف والتطرف والفاشية والإرهاب ولذلك ينبغى إعادة النظر فيها . بل والتدخل لتغييرها طبقاً لنداءات أخرين على الساحة الأمريكية .

ولقد توقف فوكوياما أمام مقولة رأى أنها معبرة عما يقصده «بالفاشية الإسلامية» فى أحد مناهج التعليم بالثانوى فى دولة عربية وفى كتاب دراسى إجبارى يشرح أنه يجب على المسلمين أن يخلصوا لبعضهم بعضاً (أى أن يكون ولاؤهم لبعضهم البعض) وأن يعتبروا الكفار أعداءً لهم .

ومن المهم التأكيد هنا على أن عملية تطوير وتنقيح المناهج أمر مطلوب وطبيعى فى كل دول العالم وأن هذا الأمر سيادى أساسًا ، مع ذلك كنت أتصور أن يتوقف فوكوياما أمام مثال يعبر حقاً عما يصفه «بالفاشية» الحقة . والسؤال هنا : ما مشكلة أن يوالى مثلاً «الأمريكيون الأمريكيين» و «الصهيونيون الصهيونيين» و «المريخيون المريخيين» وأن يعتبروا من ثبت أنه يضمر العداء لهم أنه بمثابة عدوهم» كنص مغلق فيما بينهم فهذا طبيعى ومنطقى وعالمى .

وعمومًا لماذا ونحن بصدد مناقشة إدارة هذه الأزمة بأسلوب علمى وأكثر عدلاً أن نقترح إدارة الحوار والتفاوض بخصوص توعية كل طرف بثقافة الآخر وتصحيح الصور الخاطئة والمشوهة للآخر وإزالة أوجه الخلل القائمة فى كل ثقافة عن الثقافة الأخرى ، كأن يتم مثلاً تبديد صور التشويه الكثيرة وغير الحقيقية فى مناهج الغرب عن الإسلام والمسلمين والتى أثبتت وجودها فى الإعلام والمناهج التعليمية فى عدة دراسات موضوعية ومتميزة فى مقابل تصحيح بعض الصور المشوهة وغير الحقيقية عن الغرب فى الواقع العربى . ولعل من الجدير بالذكر هنا أن أهم الدراسات العلمية التى حللت المناهج الدراسية الغربية وأثبتت وجود صور مما يمكننا تسميته من وحى مفاهيم فوكوياما «بالفاشية الغربية» التى تمتلئ بها مناهج التعليم فى الغرب من صور كراهية وسلبية وتشويهية للإسلام والمسلمين والعرب .. مما أوجد عداء كبيراً وغير مبرر ومن قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ بكثير .

▪ عن «نموذج نهاية التاريخ» ونماذج النجاح والفشل «والتفاوت الثقافى المفتعل» :

أجهد فوكوياما نفسه مشكوراً ليقدم الكثير من المقارنات بين دول صغيرة فى أرجاء المعمورة والدول العربية الإسلامية ليثبت ويؤكد - وهو على حق فى ذلك - فشل الدول العربية الإسلامية ونجاح دول ككوريا الجنوبية والأرجنتين والهند وسنغافورة وتايوان ودول أمريكا اللاتينية ودول صحراء أفريقيا إلى أخره .

كما أسهب فوكوياما كثيراً فى توضيح العلاقة العضوية بين الديمقراطية والعلمانية والمسيحية والجذور الفلسفية الأوروبية وكيف أن الإسلام والثقافة الإسلامية من وجهة نظره لها مشاكلها مع الحداثة ومع الذاكرة الديمقراطية والنزوع للاستبداد بشكل أو بأخر ، وفى كل هذا أراد ومثله مثل غيره من الكثيرين فى الواقع الغربى طرح العلاقة بين التخلف والثقافة (فى العالم العربى والإسلامى) وبين «التقدم والثقافة فى الغرب» وهذه مقولة لها أساسها من الدراسات الكثيرة ولا مجال للخوض فيها هنا . وخلص إلى أن الانتاج الفكرى والعملى الذى يمكن أن تتباهى به الدول العربية الإسلامية ليتمثل فى «تركيا» ذلك النموذج الديمقراطى الوحيد بفضل إصلاحات أتاتورك والمشكلة فى طرح فوكوياما بخصوص تركيا أنها ليست دولة ديمقراطية نموذجية يحتذى بها . كما أن إصلاحات أتاتورك تمثلت فى قطع أوصال تركيا عن تراثها وعن اللغة العربية تماماً وتحويل الكثير من المساجد إلى متاحف ومنع حجاج تركيا من الحج إلى أن تغير هذا الوضع أخيراً . وخلاصة ما نؤكد عليه هنا هو أن الدول العربية الإسلامية فى حالة من التقهقر والتخلف الحضارى والضعف والجمود الذى ينبغى أن تخرج من دائرته بقيم العمل والتعددية وعبور فجوة الإدارة وتفعيل طاقات الأمة وينبغى أن نعترف بالتقصير والقصور الذاتى .

تظل هناك مجموعة من الأسئلة المهمة لممارسة النقاش الذى فتحه فوكوياما مشكوراً وتتعلق بأسباب عدم تحقيق النجاح المطلوب تحقيقه فى العالم العربى الإسلامى وتتمثل فى طرح ما يلى على الغربيين المعنيين :

ماذا عن تأثير حجم الصراعات والحروب التى تعرضت لها الدول العربية والإسلامية من خارجها ؟ وماذا عن حملات وحروب الغرب لنهب ثروات المنطقة منذ الحروب الصليبية التى اعترف بلير أخيراً بأنها كانت حملات مطامع تخفت وراء الصليب ؟ وماذا عن حروب الصراع العربى - الإسرائيلى التى فرضتها إسرائيل والغرب معها وما تأثير كل ذلك على مقدرات التنمية الاقتصادية فى العالم العربى الإسلامى ؟ وأين الجهود الأمريكية الأكثر فاعلية فى إطار الحل العادل لهذا الصراع بدلاً من التسبب أو الإسهام سلباً فى تفاقمه ؟

إن وجـود من ١٠ ٪ إلى ١٥ ٪ ممن وصفهـم فوكوياما بالأصوليين الراديكاليين طبقاً لتصور دانيل بايبس (أى من مائة إلى مائة وخمسين مليون مسلم يشكلون مع الإرهابيين «الفاشية الإسلامية» التى يفهم من مقاله بأنه لا علاج لها سوى بالإبادة والاحتلال ، كما كان الحال مع «الفاشية الأوروبية / النازية» أم أن العلاج البديل هو النموذج التركى ؟ الأقرب «لنهاية العرب» لقد كان يبدو لبعض المحللين أن الطرح الأمريكى الفكرى السياسى المؤصل من مراكز الأبحاث والجامعات كان فى التسعينيات ممثلاً أساساً فيما طرحه كل من هنتينجتون وفوكوياما ومن سار على نفس الاتجاه . والمتمثل فيما «تبنى النموذج الأمريكى كنهاية للتاريخ» (طرح فوكوياما) وإلا فلينتظركم «صدام الحضارات» (هنتينجتون) والتطور الملحوظ فى مقال فوكوياما الأخير ٢٠٠٢ يبدو أنه قد جمع بين «الحسنيين» .

خامساً : إدارة مستويات الغموض فى أزمة «الحرب العالمية ضد الإرهاب الممتدة»

طالبت الكثير من الدوائر الغربية والأمريكية خصوصاً وكثير من المثقفين والمفكرين والسفراء في أمريكا وبريطانيا وعلى صفحات الجرائد العربية الباحثين والمفكرين والمعنيين فى العالم العربى الإسلامى بالإدلاء بأرائهم والدخول فى حوار مع الغرب من أجل الاستفادة فى إدارة الأزمة الراهنة واحتواء تداعياتها (راجع مقالات لتونى بلير بجريدة الحياة اللندنية ٢٠٠١/١٠/١١ وللسفير الأمريكى أدورد ولكر مقالين بنفس الجريدة وللسفير مارك فينسبرغ بالشرق الأوسط ٢٠٠١/١٠/٢٦ وكان آخر ما قرأته مقالاً بعنوان «مهمة عاجلة للتحالف : الانتصار فى حرب الأفكار» السفير ريتشارد هولبروك ٢٠٠١/١١/١ بالشرق الأوسط ، وأجد أن جريدة الأهرام قد فتحت باب الحوار على أوسع ما يكون بجهد متميز ومشكور ، وفى هذا الإطار أقدم موجزاً لدراسة تفصيلية أنشغل بكتابتها عن تفاعلات هذه الأزمة وأسلوب إدارتها وما ينبغى أن يكون من أجل إحتوائها ومنع تفاقمها .

لقد تناولت بالتحليل العلمى أنماط الغموض السلبية والإيجابية فى إدارة الأزمات فى سياق سابق[1] وجاءت أزمة الألفية الثالثة التى نعيش وقائعها لنلاحظ كثافة عالية لتوظيف الغموض السلبى (Negative ambiguity) بمستوى غير مسبوق فى تاريخ الأزمات الدولية الكبرى . وتكمن خطورة توظيف الغموض سلباً هنا فى أن ذلك يعتبر ضد قوانين ومعايير إدارة مباريات التحالف (Alliance Games) التى من المفترض أن أمريكا تتبناها وتديرها بصفتها اللاعب الدولى الرئيسى المتضرر من الهجمات الإرهابية فى سبتمبر ٢٠٠١ . ولعل من المهم أن نرصد ونناقش هذه الأنماط فى هدوء علمى وهى :

(١) راجع ، محمد وجيه ، حسن ، مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى / عالم المعرفة الكتاب ١٩٠ لعام ١٩٩٤ – الكويت .

٥-١ الغموض المصاحب لتوظيف «النمط التسلطي المحوري في خطاب الأزمة الأمريكي: «معنا أم مع الإرهاب» والمكافئ للغة التهديد الواضحة

Authoritarian Ambiguity with overt Threats

أثار هذا النمط – رغم عدم وضوحه على المستوى السطحي – غموضاً على المستوى الدلالي العميق . حيث خانه الإرهاب المُعرف أمريكياً فقط قبل أزمة سبتمبر والذي يستثني أكبر إرهاب دولة وهو إرهاب الاحتلال الإسرائيلي وغير المعرف أمريكياً إلى اليوم بعد أحداث سبتمبر وإن كان مفهوماً ضمنياً .. المشكلة الأساسية إلى اليوم أن التعريف الأمريكي الأسبق للأزمة لا يزال هو المفهوم الحاكم في إدارة أمريكا لمباريات التحالف والمطلوب من الدول العربية الإسلامية أن تقبله . وسنقدم رؤية تحليلية تفصيلية للغة ثنائيات الاختزال المخل في تفاعلات هذه الأزمة ولكن نشير على وجه السرعة هنا إلى أن هذه المقولة الغامضة قد تم تناولها بالتحليل عبر دول العالم المختلفة من باكستان إلى إيران إلى فرنسا من قبل مفكرين محترمين في أمريكا مثل تشومسكي ومن الكاتب روبرت فيسك وكان آخر ما أطلعت عليه مقالاً متميزاً للكاتب بيچان بيرسيا بعنوان «من لا يطيع سيدمر» واصفاً هذا النمط بأنه لا يليق نهائياً بدولة عظمى تنادى بالديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية التعبير وكل ما تتفاخر به من قيم ليبرالية إنسانية[1] .

٥-٢ غموض مفهوم «الحرب الممتدة» والمستهدف من الإرهاب

Ambiguity of embeded Implicit Threats

عندما أقر چورج بوش بأن الحرب المعلنة ضد الإرهاب مختلفة ومن نوع غير مسبوق لم يحدث من قبل ودعا الشعب الأمريكي للمثابرة لشن حرب من نوع جديد لمدة طويلة حتى «يستأصل الإرهاب» بدأ الغموض يزداد فاستئصال الإرهاب دون سياسات واضحة ومعالجات جماعية واضحة بمعايير مشروحة ومتفق عليها تصنع الكثير من علامات الاستفهام على حجم الغموض فيما يتعلق بالهدف والمستهدف فعلاً من هذه الحرب بل تجعل فكرة التحالف هي الأخرى غامضة خاصة بعد وقائع قصف الأهداف المدنية بحجة أن طالبان تختبئ بها مما جعل المنتج النهائي يساوي قتل مئات من الأبرياء وتشريد شعب بأكمله .. فأصبحت المعالجة إرهاب بإرهاب .. وهذه حلقة جهنمية ومؤسفة .. (انظر ماذا يحدث في العراق من مقاومة للاحتلال ومجازر للمدنيين أثناء تعقب المقاومين) وكان يمكن تجنبها (راجع في هذا الصدد مقال شوازنجر المؤرخ الأمريكي «القصف الأمريكي العشوائي» الشرق الأوسط (٢٠٠١/٩/٣٠) .

أضف لهذا أن غموض الجزء الآخر من هذه الحرب التي أعلن أن شعارها هو «أفغانستان أولاً..» يزداد سلبية بالإعلان عن أن هناك ما يقرب من ٦٠ دولة قد تستهدف مستقبلاً كلما دعت الحاجة إلى ضرب الإرهاب أو من يموله أو يرعاه حسب «أدلة واشنطن» والتعبير باللغة الإنجليزية كان بالفعل (harbor) بمعنى يأوي أو

(١) مقال من على شبكة الإنترنت من موقع http:// monkeyFist. com.
بتاريخ ٢٣-٩-٢٠٠١ "Those who do not obey shall be destroyed", by Bijan Parsia

يكتم أو يضغن أو يكن مع غموض مفهوم الإرهاب كما ذكر ومعاقبة للمشتبه فيه وليس للمدان بأدلة قطعية الثبوت والدلالة.. ولقد زاد الغموض السلبى عندما صرح جورج بوش بأنه ليس هناك دولاً عربية مستهدفة بعد أفغانستان ، بينما صرح نائب وزير الخارجية الأمريكى «بان حرب دول عربية وارد لدى الإدارة فى وقت لاحق .. وأنه لا شئ مستكن فى هذا الصدد» وهو الأمر الذى ألقى بالمزيد من الغموض على مفهوم «التحالف» مرة أخرى .. هذا بالرغم من وضوح إدانة كل الدول العربية والإسلامية للأحداث الإرهابية فى واشنطن ونيويورك وتأييد فكرة التحالف الدولى لاستئصال الإرهاب .

٥-٣ المدة الزمنية المعلنة وغموض مستقبل الاقتصاد الدولى واقتصاديات الدول العربية والإسلامية والحريات المدنية كمثال آخر للغموض الضمني

لاشك أن الجميع قد خسر على الصعيد الاقتصادى ولاشك أن الحريات المدنية تقلصت أو هكذا ستكون عليه الأمور حتى فى المجتمع الأمريكى وكذلك أنشطة السياحة والطيران وتقدر الخسائر الأولية بما يقرب من ٤٠٠ مليار دولار على مستوى العالم على أقل تقدير .. ولكن الغموض الحقيقى هو أن يكون هناك إستهدافاً غير مبرر لقطاع الإغاثة الإسلامية والجمعيات الخيرية وجمعيات القطاع المدنى بل أن ملف عملية تجميد الأموال وإجراءات متابعتها وما قد يتبع ذلك من تأثيرات يكتنفه الكثير من الغموض السلبى . ولقد نُشرت مؤخراً فى جريدة الوطن السعودية دراسة مهمة عن هذا الموضوع فى ٢٠٠١/١١/٢ وأثارت السؤال التالى : هل يهدف الائتلاف الدولى «لضرب الاستثمارات الإسلامية فى العالم ؟ وعبرت الدراسة عن القلق المتزايد حول مستقبل المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية خاصة بعد أن إزدهرت فكرة الاقتصاد الإسلامى ونموه بمعدل ٤,٥ ٪ والتحضيرات التى تمت نحو إنشاء السوق المالية المشتركة وبعد أن تحول الميزان التجارى من عجز ٢٠ مليار دولار إلى فائض ٦٦ ملياراً . وبلغ حجم أصول المصارف الإسلامية ١٥٠ مليار دولار فى أربعين بلداً .

٥-٤ غموض الارتباك المحتمل فى عملية صناعة القرار فى الإدارة الأمريكية للأزمة
Ambiguity of decision making process

هناك بعد مهم وارد فى أى أزمة وقد يتسبب فى إحداث غموض كبير فى عملية إدارتها وفى طبيعة القرارات التى تتخذ ، وهذا البعد يتمثل فى احتمال وجود إنقسام أو إستقطابات فهناك صقور وحمائم وهناك مؤيدون لسيناريوهات إسرائيلية ونبوءات دينية للمسيحيين الصهاينة ، وهناك من يريد إعلانها حرب على الإسلام بعد الشيوعية واعتبار الإسلام رديفاً للإرهاب – ظلماً وعدواناً – وهناك من يفصل الإرهاب عن الإسلام – وهناك من يريد أن يستنهض خطاباً أمريكياً جديداً يليق بقيادة أمريكا وهناك من يزداد توحشاً وعودة إلى المكارثية والقمعية وهيمنة لغة القوة بكل معانيها متجاهلاً أن هذه الرؤية كانت وراء إنهيار الأمبراطوريات وترهلها فى نهاية المطاف بعد أن تستنزف نفسها فى هذا الإطار (over extension) .. وهناك

من يرى فى الانعزالية حل ... والغموض المتمخض عن احتمال وجود صراع أو إستقطاب هو مستوى من مستويات غموض إدارة الأزمة الذى ينبغى مراقبته واعتباره وإلى أين يتجه .

٥-٥ غموض سيناريوهات التحميل
Ambiguity of Scenario loading

يرتبط برابعاً أعلاه الغموض المتولد عن ما أسميه بسيناريوهات التحميل فلقد أوضحت تفاعلات الأزمة عدة أشكال لهذه النوعية من السيناريوهات وأولها محاولة الدوائر الصهيونية توجيه رد الفعل الأمريكى عقب العمليات الإرهابية فى واشنطن ونيويورك فى اتجاه سيناريوهات الصدام الحضارى لصالح تفعيل سيناريوهات إسرائيلية تتعلق بايجاد أقصى حالة من الاستعداد بين الدول العربية والإسلامية والغرب لصالح الأجندة الإسرائيلية ، وكذلك كانت هناك سيناريوهات تحميل من قبل أسامة بن لادن وأتباعه لتوجيه رد الفعل فى الشارع العربى الإسلامى نحو الحرب الدينية مع الغرب محاولاً بذلاً «اختطاف الإسلام» حسب التعبير الذى صدر فى الغرب وفى كتابات البعض فى الصحف العربية ... ولكن تنبه مدير الأزمة الأمريكى إلى التأكيد عن فصل الإرهاب عن الإسلام ليفوت الفرصة على بن لادن وكذلك تم عزل إسرائيل عن التحالف ومناقشة ملف الصراع العربى الإسرائيلى والتأكيد على حق الفلسطينيين فى إقامة دولة لهم ،،، وحدث اضطراباً بين شارون وبوش وأعتذر شارون بعد الإساءات التى وجهها إلى بوش ولكن أين يكمن الغموض السلبى هنا ؟ يكمن فى أن الوعد الأمريكى البريطانى لا يزال غامضاً وغير ملموس ولم يتخطى الكلام فقط دون الفعل والضغط على إسرائيل لإقامة سلام عادل يسترد من خلاله الفلسطينيون حقوقهم المشروعة بعيداً عن غموض «الحلول التسكينية المعهودة» دون تحقق شئ على أرض الواقع .

يأتى فى إطار غموض سيناريوهات التحميل «سيناريوهات البُعد القزوينى» حيث التواجد الأمريكى فى أفغانستان والاقتراب من ملف بحر قزوين وما قد يأتى على حساب الدول الإسلامية وثرواتها فى تلك المنطقة الاستراتيجية وهو أمر يكتنفه الغموض النسبى عموماً ويتطلب رؤية إسلامية جماعية للحفاظ على حقوق ومقدرات الشعوب الإسلامية عن هذه المنطقة من العالم .

٥-٦ غموض قائمة الإدانات المفتوحة كمثال آخر من امثلة الغموض الكامن
Ambiguity of open ended condemnation list

كما ذكرنا أن محاكمة المشتبه فيهم دون أدلة ثبوتية أو من خلال قانون الأدلة السرية الأمريكى السابق للأزمة والمتزايد بعدها ووجود لائحة مفتوحة قد تتسع طبقاً للمفهوم الأمريكى للإرهاب والتحريفى وما إلى ذلك من مفردات غير محددة ونفى أن يكون حزب الله وجماعات النضال ضد الإحتلال الإسرائيلى من لائحة الإرهابيين فى المرحلة الأولى من الأزمة ثم أدراج حزب الله وهذه الجماعات إلى اللائحة التى حازت على المديح الإسرائيلى وامتداح الموقفين الأمريكى والبريطانى بترجمة أموال

هذه الفصائل بالرغم من أن هذين الموقفين بعيدين تماماً عن قرارات الأمم المتحدة والقانون الدولى ومنحازين إلى إسرائيل وبينما عن معايير مزدوجة وترك العنان لإرهاب الدولة الإسرائيلى ... وهنا تقديرى المحلل الموضوعى أن الغموض السلبى فى إدارة مباراة التحالف يشير إلى تقلب المواقف ولا يبشر الأمر بإدارة رشيدة وعادلة وما لذلك من تبعات خطيرة . أن هذا التقلب ورد فى مواقف أخرى من شكوى أمريكية ممن لا يعون المطلوب منهم فى إطار التحالف وهو أمر ربما قد يمتد فى المستقبل لمثقفين ومفكرين يعبرون عن أرائهم ولعل أطرف ما ورد فى هذا التأمل ما كتبه جهاد الخازن فى الحياة اللندنية (٢٠٠١/١٠/٨) عندما قال :

«وجدت قريباً مقالاً كتبه جين هوجلاند فى واشنطن بوست كان عنوانه «جففوا سبيل المال» والكاتب لم يكتشف «البارود» فالعالم كله يتحدث عن الحاجة لقطع الدعم المالى عن القاعدة .. وهناك تصريحات عن الموضوع . وأبقى مع التحليل النفسى ، فقد جذبنى مقال هوجلاند لأنه أثار خوفًا عندى من أن أكتب يوماً مقالاً لأننى مضطر إلى أن أكتب ، وليس لأن عندى شيئاً أقوله»

هذه الفقرة لجهاد الخازن أبلغ دليل على الإحساس العميق بحجم غموض إدارة الأزمة السلبى حين قد يطال من يعبر عن رأيه فقط ؟!

٥-٧ أنماط الغموض ومعضلة الثقة والتعاون

من المعروف أن معضلة الثقة والتعاون Dilemma of Trust and Cooperation من أصعب المعضلات فى عمليات التفاوض وإدارة الأزمات داخل وعبر الثقافات ... ولاشك أن ما ذكرناه عن توظيف أنماط الغموض السلبى الستة فيما سبق ليضيف صعوبات كبيرة فى التغلب على هذه المعضلة . والحل فى تجنب توظيف هذه الأنماط السلبية للغرض بإجراءات واضحة ستصب إيجاباً فى خانة تحقيق التغلب على هذه المعضلة .

ولعل من المهم أن نشير إلى دراسة مهمة فى مجال الإدارة الفعالة للأزمات ، خاصة فيما يتعلق بإدارة الغموض وهى دراسة صادرة عن مدرسة إدارة الأعمال بجامعة هارفارد بعنوان «إدارة الغموض» فى عام ١٩٩٩ مع تطبيقات على التفاعلات السلوكية المتعلقة بإدارة الأزمات[١] وأهم ما نستخلصه من مبادئ مهمة ونطبقه على تفاعلات هذه الأزمة يكمن فيما يلى :

(١) Harvard Business Review, On Managing Uncertainty, Harvard Business School press 1999.

▪ وجوب تقليل حجم المخاطر الكبري والخطوات غير المحسوبة

Big Risk Reduction & Uncalculated steps

تكمن مخاطر الأزمة الكبرى التى ينبغى تداركها فى فقدان رؤية للمباراة السوبر super game أى إدارة الحرب ضد الإرهاب الحقيقى دون تفجير مشاكل أكبر فى تنفيذ هذا الهدف .. أى ترك الصراع العربى الإسرائيلى دون حسم حقيقى على الأرض وأن تزداد الأمور سوءاً فى أفغانستان والباكستان والعراق . أى أن تؤثر قضايا إقليمية متفجرة على مجرى إدارة الأزمة لعدم وجود وزنة دقيقة للإدارة الكلية والفعالة لكل مباريات الأزمة . وأهمة تحقيق مقولة فصل «محاربة الإرهاب» عن «محاربة الإسلام» بالفعل وليس بالكلام وليس بالفعل المنافى للكلام بقتل المئات وتشريد الملايين فى أفغانستان والعراق . أو بترك الإرهاب الشارونى يعبث فى الأرض دماراً وفساداً فى فلسطين أو توسيع «أفغانستان أولاً والعراق ثانياً ...» فى خطوة قد تكون قادمة برعونة سياسات القوة والمكارثية التى يتعين تجنبها . ولقد حذر الرئيس مبارك منذ التفاعلات الأولى للأزمة فى لقائه بوسائل الإعلام الأمريكية حينما ذكر :

«إن قتل أبرياء هو أسوأ الحلول...» وقال «على الأمريكيين ألا يلعبوا نفس لعبة الإرهابيين : أنهم يترقبون إجراءاتكم القمعية حتى ينطلق من بين الدماء والحطام جيل جديد منهم يطالب بالثأر من أمريكا...»

▪ وجوب تجنب توظيف اساليب/ نظرية «الفاعل المجنون أو الدولة المجنونة

(Mad-man theory)

تناولت تطبيقات لنظرية الدولة المجنونة أو ما يسمى فى العلاقات الدولية «بمباراة الجبان» Chicken Game فيما يتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى فى سياق سابق[1] ، حينما تمارسه إسرائيل مثلاً «دور الدولة المجنونة» القادرة على إرتكاب أفظع المجازر واللجوء إلى كل أنواع الأسلحة للتخويف والتهديد وتحقيق إذعان الفلسطينيين والعرب وهذه النظرية وأساليبها لم تنجح على الأطلاق سوى فى إثارة حالة من دائرة العنف المتبادلة واللانهائية والتى لن تحقق لا الأمن ولا السلام لأحد . وهى أخيب نوع من المباريات ولا يوظفها إلا الفاعل السياسى محدود القدرة ضعيف النفسية مفتقد خيال التحرك الإيجابى .. والخطورة والسلبية فى إدارة هذه الأزمة الراهنة أن تستجيب الإدارة الأمريكية لتلك الأصوات التى لم تعى بعد فشل وضعف وسطحية مثل هذا التوظيف الذى لا يليق بالطبع بقوة عظمى ولعل من أبرز الأصوات فى هذا الصدد صوت الصحفى **توماس فريدمان** الذى كتب مقالاً فى نيويورك تايمز ونشر بالعربية فى جريدة الشرق الأوسط (٢٠٠١/١٠/٢) بعنوان «**من أجل العدالة والأمن ... دعونا نمارس بعض الجنون**» . والسؤال الملح هو «هل ممارسة هذه النظرية على عجائز وأطفال ونساء الشعب الأفغانى (أو فى العراق) الذى تعرض للقصف بأعتى الأسلحة وأطنان الصواريخ والقنابل وتدمير ما تبقى من منشآت متهالكة يحقق تأثير «نظرية الدولة المجنونة» المطلوب ؟

(١) راجع ، محمد وجيه ، حسن : «مجزرة الحرم الإبراهيمى ومسار الصراع والتفاوض» ، الأهرام ١٩٩٤/٣/١

ـــــــــــ «مباراة الجبان فى الصراع العربى الإسرائيلى» الأهرام المسائى ٢٠٠١/٧/٢٩ .

وهل سوء المعاملة التى يعانى منها المئات من الجالية العربية الإسلامية وهو ما أدانه الرئيس بوش فى أكثر من مرة يحقق أى تأثير إيجابى ؟ وهل الحملة المحمومة ضد العرب والمسلمين فى دوائر الإعلام الأمريكى دون أساس من الأدلة وهل عدم الإمساك بالأعصاب والهدوء يحقق التأثير الإيجابى أم أن ذلك يصب فى خانة بن لادن والرقص على طرحه فى مسألة «الحرب الدينية» ؟! أنها أسئلة بحاجة إلى إجابات ولكن تبقى نقطة أخرى تتلخص فيما يلى :

■ الامبراطورية التى ترد بالضرب (The Empire strikes Back) وعبقرية شكسبير

فى الثمانينيات شاهدت فلماً أمريكياً شهيراً بعنوان «الأمبراطورية ترد الضربة» .. ولا بأس بأفلام الخيال العلمى بالطبع .. ولا بأس أن ترد امبراطورية عدواناً وقع عليها ولكن أن يتحول الرد إلى خيارات تهديد مستمر للكثيرين فى هذا العالم وخاصة لدول منطقتنا فهذا له آثاره السلبية على العالم كله وعلى الامبراطورية ذاتها ... وهنا أتذكر محاضرات أستاذنا الفاضل الدكتور وجدى الفيشاوى بكلية اللغات بجامعة الأزهر الذى تعلمنا منه الكثير فى نظريات النقد الأدبى وفى فهم واستيعاب روائع المسرحيات والقصص الأدبى .. أتذكر هنا تحديداً تدريسه لنا مسرحية شكسبير الرائعة «جوليوس سيزر» وكيف أن شكسبير كان يحلل ويسقط الكثير بخصوص أسباب صعود وانهيار الامبراطورية فى هذه المسرحية خاصة فيما تعلق «بالامبراطورية الرومانية» التى وقعت فى خطأ «الامتداد السلبى المبنى على عنجهية القوة المفرطة» – وهو نفس الخطأ التاريخى لأى امبراطورية ... ولعل من المهم هنا استعادة جزء من نص المسرحية له دلالاته الخاصة المحزنة والطريفة للغاية بأسلوب شكسبير المبدع حقاً حين يقول فى الفصل الثالث : [وأقدم النص هنا بالإنجليزية للحفاظ على لغته كما هى فى بساطتها وعمقها وكذلك مترجماً بالعربية] :

يبحث بليبيان عن من قتل سيزر ويدور حوار بينه وبين الشاعر الرومانى سينّا ويسأله إن كان «عدو أم صديق ...» إلى أن يصل فى الحوار إلى ما يلى :

- بلبيان — Plebeian
  أخبرنى بصدق ... ما أسمك ياسيدى — Your name, sir, Truly

- سينّا — Cinna
  بصدق ... اسمى سينا — Truly, my name is cinna

- بلبيان — Plebeian
  مزقوه إرباً .. أنه لمتأمر — Tear him to pieces; he's a conspirator

---

Cinna

I am cinna the poet, I am cinna the poet !

- سينّا : أنا سينّا الشاعر .. أنا سينّا الشاعر

Plebeian

Tear him for his bad verses, Tear him for his bad verses

- بليبيان : مزقوه إرباً بسبب شعره الردئ .. مزقوه إرباً بسبب شعره الردئ .

Cinna

I am not cinna the conspirator

- سينّا : أنا لست سينا المتأمر (على سيزر) .

وينتهى الأمر بالمآساة .. وبالحرائق فى كل مكان تحت مسمى «الانتقام لمقتل سيزر ...» انها بالفعل مآساة عالمية .. والهدف من التذكير بالمسرحية وبتحليل المفكر العالمى شكسبير للمأساة الإنسانية فى هذا السياق تذكرة حتى «لا يكرر التاريخ نفسه سلبياً ...» فكل أصحاب نظريات القوة فى العصر الحالى يرددون ... «إن التاريخ لا يعيد نفسه» ... فلعل القلة الاستراتيجية فى أمريكا والتى تريدها سلسلة من الحروب غير المنتهية تعى وتسمع وألا تكرر التاريخ السلبى للإنسانية ... هذا ما نريد إيصاله مع كل أصوات الحوار والدبلوماسية التى لابد أن تتغلب على العسكرة والهيمنة وهياج الامبراطوريات غير الرشيد ... عبر التاريخ .

■ القيمة المضافة هى الحل فى هذه الأزمة

تتحدث دراسة إدارة الغموض والأزمات الصادرة عن جامعة هارفارد (١٩٩٨) التى أشرنا إليها عن قاعدة مهمة تتعلق بأخذ بعد «القيمة المضافة» (Added Values) وهى طبقاً لخبير إدارة الأزمات براندنبرج (Branden burger) تفيد بـ :

«أن نجاح إدارة الأزمة عموماً يتوقف على القيمة المضافة من قبل فريق إدارة الأزمة ومن قبل فريق التحالف – فى حالة وجوده – فهناك عدة طرق يستطيع مدير مباراة التحالف الناجح فى الأزمة أن يستخرج بها أحسن ما فى كل مشارك فى التحالف وهناك طرق وأساليب فى الإدارة تدفع المشاركين لاستخراج كل إضافة إيجابية ممكنة لديهم حتى يشعروا بما أضافوه من قيمة إيجابية للإدارة الجيدة للأزمة»[١] .

وفى تفاعلات هذه الأزمة لا نرى مدير الأزمة الأمريكى يطبق قواعد العلم المذكورة حتى يساعد الآخرين على تطبيق هذه المبادئ فى إدارة الأزمة لصالح الجميع ولصالح مباراة غير صفرية .

إن الخلاصة الخاصة بتحليل جزئية أنماط الغموض السلبى ومعضلة الثقة والتعاون ، لابد وأن تنتهى إلى أسئلة ينبغى أن توجه إلى كل من مدير الأزمة الأمريكى وكذلك لمدير الأزمة على المستوى العربى الإسلامى بحكم أن العرب

(١) راجع Harvard Business (السابق) ص ٧٧ .

والمسلمين قد أصبحوا طرفاً أصيلاً فى هذه الأزمة سواء كان ذلك على مستوى التحالف الدولى ومحاصرة واستئصال الإرهاب أو على مستوى الإعلان والإتهامات الموجهة إلى «تلك الكوكبة» التى أُتهمت بأحداث الإرهاب فى نيويورك وواشنطن ويجرى البحث عن كل ما يتعلق ويرتبط بها .

فعلى صعيد مدير الأزمة الأمريكى نقول لقد أستجبنا إلى نداءات ومناشدات المسئولين الأمريكيين والمفكرين والمعنيين فى الغرب بالتعرف على أراء عربية إسلامية فى الأزمة ورؤية الخروج منها ويتضح من هذه الدراسة الأولية أن نجاح إدارة الأزمة يرتبط بذلك الغموض السلبى الموضحة تفصيلاً والتى تبتعد عن إجراءات محددة وحاسمة لبناء الثقة والتعاون الفعال لصالح الجميع ونقول له .. دعك من برامج العلاقات العامة «ولماذا يكرهوننا وحملات الإعلام الموجه وبرنامج «أنا الأمريكى» .. فكل ذلك لن يؤدى إلى الإدارة الفعالة لهذه الأزمة المعضلة بالمقارنة إلى الأفعال الحقيقية وإجراءات الثقة الفعلية والمطلوبة والتى أشرنا إليها ويمكن للولايات المتحدة تحقيقها على أرض الواقع .

■ نقطة نظام تفاوضي علي الصعيد العربى :

أما فيما يتعلق بمدير الأزمة على الصعيد العربى فعليه التركيز الشديد على الحث على فك نواحى الغموض السلبى ذات التداعيات التى قد تكون من أخطر ما يكون إن لم يتم محاصرتها وإدارتها بفاعلية وسرعة ... ونقول ينبغى أن يكف البعض عن الاستغراق فى حالة الاندهاش والانفعال والتركيز على مجرد الرد على الحملات المحمومة ضد العرب والمسلمين وضد الدول العربية الإسلامية لهذا قد لا يكون مهماً بالقدر الكافى الآن ولن يكون على مستوى أهمية الفعل المبادر والجماعى على المستوى العربى الإسلامى للسعى نحو تبديد وفك نواحى الغموض السلبى والتعاون الدولى على أسس عادلة والاستعداد لكل التطورات المحتملة وإعادة ترتيب البيت داخلياً بهدف التفعيل الأقصى للطاقات المتاحة والتعلم من دروس هذه الأزمة ودلالاتها بالغة الأهمية على أصعدة متعددة ... فالأزمة فرصة لإدراك العرب والمسلمين للتوحد وبناء القوة الجماعية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وتطوير الإدراك لفقه النوازل الدولية المستحدثة .. والله ولى التوفيق .

سادساً : إنزلاق ازمة «الثقة والتعاون» وسيناريوهات «نهاية الطريق» : وإدارة مستويات أخرى من الغموض السلبى

كما ذكرنا ، فى خامساً ، تتخلل عمليات التفاوض عموماً وفى إدارة الأزمات خصوصاً عدة أنواع من المعضلات والمآزق ، ومن أهمها ما يسمى بمعضلة الثقة والتعاون» (Dilemma of Trust & Cooperation) والتى يقصد بها التغلب على معضلة عدم التعاون الحقيقى ، وهو الأمر الذى يطيح بأى فرص إيجابية للأطراف المعنية فى أن تصل إلى الحد الأدنى المطلوب من الثقة المتبادلة فى نوايا كل طرف لحسم الحلول بتبادل التحركات والتفاعلات التعاونية . والملمح الرئيسى فى هذه

المعضلة هو إذا ما تعاونت ومنحت الطرف الآخر شيئاً .. فكيف أحصل على المقابل فى غياب هذا الحد الأدنى من الثقة وإذا كان لهذا النوع من المعضلات صعوبات خاصة فى سياقات التفاوض وإدارة الأزمات ، فإنها فى إطار الصراع العربى الإسرائيلى، ومع تراكم حالات الإخفاق على مدى مشروعات السلام السابقة ، نقول أن الأمر قد انزلق إلى شبه أزمة مستعصية على الإدارة بسبب مسلسل الأخطاء المستمر على أصعدة عديدة Non Manageable crisis خاصة بعد انفلات حالات العنف والاغتيالات والتهديد الإسرائيلى الأخير بطرد أو اغتيال الرئيس عرفات – حتى كتابة هذه السطور – فإذا أردنا فى هذه الدراسة أن نقترب أكثر من فهم مستويات وحجم أزمة الثقة والتعاون بهدف الإمساك بخيوط منع المزيد من الانفلات والوصول إلى السيناريوهات الأسوأ .. والسعى إلى إدارة تبتعد بنا عن تعميق اتجاهات الخلل فى هذا الصراع الممتد ، فإن علينا أن نتعامل مع سؤالين محوريين وهما ؟

٦-١ ماذا عن مستويات الخطابات المهيمنة على ساحة الصراع من حيث تأثيراتها المباشرة على إدارة معضلة الثقة والتعاون بشكل تراكمى ؟ ومتى وكيف كان التأثير سلباً أم إيجاباً

إن أهمية تقديم تحليل موجز للكشف عن خصائص هذه الخطابات فيما يتعلق بتأثيراتها على معضلة الثقة والتعاون يعتبر الخطوة المنهجية الأولى لإدارة الغموض الراهن أستراتيجياً ، فهذه الخطوة تمكننا من التركيز على تحديد مواطن الخلل والسعى للتعامل معها فى إطار من الصورة الذهنية الكلية لتفاعلات هذه الخطابات فلا يكون التركيز على مستوى بعينه والاخفاق فى إدراك التأثيرات الأخرى . وفى هذا ما يمكننا من الامساك بالخيوط اللازمة لإدارة الأزمة الراهنة حتى لا تنزلق أزمة إقليمية أكثر استفحالاً واستعصاءً على إدارتها . وفيما يلى خصائص هذه الخطابات:

(أ) الخطاب الأمريكى وأزمة «الثقة والتعاون» :

إن التحليل الموجز لخاصية هذا الخطاب Trend Analysis تتمثل فى أهمية التعرف على مواقع النجاح – حتى وإن كان نسبياً – ومواطن الخلل والأخفاق . ونبدأ فنقول أن تحليل مسميات «الوسيط الأمريكى» عبر عملية السلام الممتدة تعتبر موشراً مهماً ويمكننا تحليل هذه المسميات بأكثر من مستوى طبقاً لبيانات التفاعل الكيميائى وهنا نقول بأن البداية . كانت مسمى «العامل المساعد» (CATALYST) – الذى يكون محايداً ولا يتأثر – أو ذلك الدور الوظيفى الذى قدمه وزير الخارجية الأمريكى الأسبق وليام روجرز للسادات فى بدايات عملية السلام وتعجب واعترض عليه السادات قائلاً «أى عامل مساعد هذا الذى يعطى إسرائيل من الطائرة إلى رغيف العيش» . وطالب أمريكا بممارسة الضغط اللازم على إسرائيل والقيام بدور وسيطى متوازن ولكن ينبغى أن يكون ضاغطاً على حليفه الاستراتيجى ، وكان بعد ذلك أن ظهر الرئيس كارتر بمسمى «السمسار الأمين» (HONEST BROKER) الذى يسعى لتحقيق مصلحة الطرفين معاً ومصلحة السمسار كذلك فكانت معادلته المعروفة

باسم (S3) أو حروف (S) الثلاثة للكلمات الإنجليزية «الأمن» (Security) فى مقابل السيادة Sovereignty = تسوية Settlement حيث كان «الأمن» هو المطلب الرئيسى لإسرائيل وكانت «السيادة على كل سيناء» هى المطلب الرئيسى لمصر .. فكان ذلك بتمركز القوات المصرية الرئيسية غرب قناة السويس ووجود قوات طوارئ دولية فتحقق للطرفين فى آن واحد أهدافهما الرئيسية وحقق بذلك تسوية ممكنة ونجح فى التعامل إلى حد كبير فى إدارة معضلة الثقة والتعاون بين الطرفين ولكن ظلت مصر تمارس كل الجهود لتؤكد أن من جوهر الصراع هو حل المشكلة الفلسطينية والانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ، فكان هذا واضحاً من سمات الخطاب المصرى الذى سنوضحه فيما يلى من خطابات ... فكان بعد ذلك مسمى جورج بوش الأب للوسيط بأنه «القوة الدافعة للسلام» Momentum Giving Party ، حيث تبنت إدارة بوش القرار رقم ٢٤٢ كأساس ومبدأ «الأرض مقابل السلام» وحثت كافة الأطراف على الاعتدال فى مواقفهم للبدء بعملية السلام وأبلغ وزير الخارجية جيمس بيكر إسرائيل على وجه الخصوص بأهم عناصر التفعيل الصحيح لما يمكن من التغلب على معضلة الثقة والتعاون فأكد :

«بأن هذا هو أوان التخلى نهائياً عن التصور غير الواقعى لإسرائيل الكبرى. ويمكن لتسوية على أساس القرار ٢٤٢ أن تصون مصالح إسرائيل فى الضفة الغربية وغزة وأمنها .. وأضاف موجهاً رسالة واضحة لإسرائيل قائلاً ... **أنبذوا الضم . أوقفوا النشاط الاستيطانى . دعوا المدارس تستأنف عملها . مدوا أيديكم إلى الفلسطينيين بوصفهم جيراناً جديرون بالحقوق السياسية**..»[1] .

وهنا بادر رئيس الحكومة الإسرائيلى حينذاك ، إسحاق شامير ، إلى وصف هذا الخطاب بأنه «عديم الجدوى»[2] . عندما قال بيكر للإسرائيليين : عندما تفكرون جدياً فى السلام اتصلوا بنا .

وفى عام ١٩٩٠ تولد شعور بالاحباط لدى إدارة بوش الأب بسبب رفض إسرائيل الاشتراك فى عملية السلام ، وشروعها فى برنامج غير مسبوق لأقامة المستوطنات .. فندد بيكر علناً بهذا التعنت الإسرائيلى قائلاً : «**اتصلوا بنا عندما تفكرون جدياً في السلام**»[3] . ثم كان بعد ذلك وقف القروض الأمريكية من قبل بوش الأب كى يجبر إسرائيل على وقف نشاطها الاستيطانى .

(١) النص الكامل فى وثيقة للخارجية الأمريكية vol. 85. No 2148, summer 1989.

(٢) راجع مقال لـ Border, David ، بالواشنطن بوست فى ٨٩/٥/٢٤ .

(٣) راجع مقال لـ Friedman, Thomas ، بالنيويورك تايمز فى ١٩٩٠/٦/١٤ .

ثم تحول دور الوسيط الأمريكى إلى مسمى «المُيسر للعملية السلمية» (Facilitator) فى عهد كلينتون وكانت كامب ديفيد الثانية التى يطول الحديث عنها إلا أنها لم تنجح لعوامل عديدة ولم ينجح الوسيط فى توفير وسائل التغلب على معضلة الثقة والتعاون وسمع العالم لأول مرة مفاهيم مثل «السيادة فوق الأرض» فيما يتعلق بالحرم للفلسطينيين والسيادة تحت الحرم للإسرائيليين» فى أغرب أنواع لغة المراوغة وقلب حقائق تفاعلات كثيرة عكس التى يروج لها البعض من أنها كانت فرصة أطاح بها عرفات ! .. وتحول دور الوسيط الأمريكى إلى حالة من الغموض السلبى فى بداية تولى جورج بوش الابن على لسان كوند ليزارايس «بترك الأمور للقوى الفاعلة بها» "Leave the area to its own forces" ... وكان فى ذلك بمثابة الضوء الأخير لعمليات الاستيطان وحلقة العنف ، مما كان سبباً فى تعيق معضلة «الثقة والتعاون» سلباً والإسهام فى انزلاقها إلى حالة الأزمة .. وجاءت أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ لتضفى حالة أعمق من الغموض السلبى (Negative Ambiguity) حيث نجح اليمين المتطرف فى كل من الولايات المتحدة وإسرائيل من تحميل سيناريوهات الصراع العربى الإسرائيلى على سيناريوهات ما سمى بـ «الحرب الجديدة ضد الإرهاب» وجرى ترديف ياسر عرفات بأسامة بن لادن ، الأمر الذى ضرب مفهوم «الثقة والتعاون فى مقتل» حيث تحول الجانب الفلسطينى إلى خانة الإرهاب بينما تم تجاهل إرهاب الدولة الإسرائيلى المتمثل فى الاحتلال والاغتيالات وتجريف الأرض وبناء المستوطنات ومصادرة المزيد من الأراضى إلى آخره[1] ... وبعد غزو العراق ، كان لابد من مراعاة توازنات معنية ، فطرحت الإدارة الأمريكية فى إطار اللجنة الدولية الرباعية «خريطة الطريق» ... ونود هنا أن نقدم تقييماً لمشروع خريطة الطريق من واقع تفاعلات محللين أمريكيين يمثلهم فى سياقنا هذا ميلتون فيروست الذى يقول :

«لقد فهم جورج بوش الأب الحقائق ، فكان إلتزامه بعملية السلام بعد حرب الخليج ١٩٩١ واضحاً ومؤثراً بالرغم من كل المخاطر السياسية ... أما فيما يتعلق بجورج بوش الإبن ، فإن التزامه للسلام ماهو إلا أداة لكسب التأييد لحرب خليج ثانية .. وجذور هذا الإلتزام ذات أساس ضعيف وضحل . فالفرق بين بوش الأب والإبن كبير جداً فى هذا الصدد . فلقد تعامل الأب مع شامير على كونه «إرهابى سابق» وأحد قادة التوسع . فعامله على كونه خصم تملك أمريكا وضع الخطوط الحمراء له . فاستخدم الضغوط على إسرائيل ومنها المالية . وكانت معادلته تتمثل فى أنه وبالرغم من أن إسرائيل وبقائها مهم لأمريكا إلا أن شامير ينبغى أن يُعامل على

(١) لمزيد من التفصيل بخصوص مستويات غموض أزمة الحرب الجديدة ضد الإرهاب – راجع ، محمد وجيه ، حسن : حروب الهوية ومستقبل التفاوض مع الغرب ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ٢٠٠٢ .

أساس أنه خصم أما بوش الإبن فإنه تعامل ولا يزال مع شارون علـى كونـه «رجل سلام» .. هذا اللعب الذى لا يشارك بوش فيه إلا قليل جداً من الإسرائيليين أنفسهم !!

يقول ميلتون فيروست[١] «أن التنازلات المؤلمة التى يتحدث عنها شارون **غامضة للغاية** ، فهو لا يعترف بالإلتزام بالقرار٢٤٢ مثلاً الخاص برد الأراضى المحتلة . وفى ٢٠٠٣ قال أن الإنسحاب إن حدث لن يزيد عن ٤٢ ٪ من الضفة الغربية . وإن خطته هى حكم ذاتى فلسطينى وليس دولة مستقلة . وفى فبراير ٢٠٠٣ ، أعلن أن كل الأتفاقيات السابقة التى أبرمتها إسرائيل حتى فى كامب ديفيد وكذلك فيما يتعلق باتفاق طابا.. أصبحت غير صالحة...»[٢] .

ويضيف فيوروست «أن قناعات الرؤساء الأمريكيين السابقين من جونسون إلى كارتر إلى ريجان (الذى جنح لليمين الإسرائيلى) والمتمسكة بمدأ الأرض مقابل السلام وقيام دولة أصبحت مهددة بفعل الجناح اليمينى حاصل الممثل فى بول وولفويتز وريتشارد بيرل فى عهد بوش الإبن ... الذى أنسحب من معاهدة كيتو وخرج عن التزاماته بخصوص معاهدة الصواريخ البالستية التى تهدف إلى كبح أى حرب نووية ... وهى كلها تغيرات جذرية ، ومنها أن بوش الإبن يشارك شارون فى أن عرفات هو الوحيد المسئول عن العنف[٣] .

ويضيف فيروست «أنه بالرغم من إعلان بوش عن اهتمامه بتخفيف المأساة على الفلسطينيين وإدانته من وقت إلى آخر «فى القتل الإسرائيلى الزائد عن الحد» Over Kill وتأييده للقرار ٢٤٢ بقيام دولة فلسطينية مع أخرى إسرائيلية فى يونيو ٢٠٠٢ ، وأنه فى ديسمبر من نفس العام طور الأمر إلى تشكيل اللجنة الرباعية الدولية Quartet وإعلان خريطة الطريق وأنها ملزمة للجميع – ولا تفاوض بشأنها – بل مجرد التنفيذ .. إلا أن شارون عبر عن تحفظاته . وأخفق بوش فى التعامل الحاسم مع شارون لأخضاعه لتنفيذ التزاماته فى الخريطة...»[٤] .

ويتطرق فيروست لقناعات جورج بوش الدينية فى مسألة الصراع العربى الإسرائيلى فيقول : «أن بوش الأبن هو أول رئيس أمريكى يخفض الحاجز بين الدين والسياسة فى أمريكا بطريقة غير مألوفة . فى المجتمع السياسى الأمريكى[٥] . ويخوض فيروست فى تحليل البعد الدينى الذى أثر ولا يزال على جورج بوش فيما يتعلق

(١) ميلتون فيروست «خريطة الطريق إلى حيث لا ندرى» Viorst, Milton "The Rood Map to Nowhere", The center for strategic & International studies, The Washinton, quarterly 26 : 3 pp. 177-190 summer 2003.

(٢) فيروست ، السابق ، ص ١٧٩ .
(٣) فيروست ، السابق ، ص ١٨٢ .
(٤) فيروست ، السابق ، ص ١٨٢ .
(٥) فيروست ، السابق ، ص ١٨٩ .

بالصراع العربى الإسرائيلى منذ كان حاكماً لتكساس . وقناعاته الراسخة لقربه من أقطاب المسيحية الصهيونية ورؤيتها لموقع إسرائيل فى إطار النبوءات وهو الذى أطلق تعبير «الدولة اليهودية» التى أثارت الكثير من ردود الفعل والمناقشة المحتدمة ، ويخلص ڤيروست إلى أن خريطة الطريق لم تكن فى الأمر فى قناعات بوش الحقيقية بل جاءت من دافع من توني بلير حليفه الأول وللتخفيف على الضغوط التى يتعرض لها الأخير خاصة بعد غزو العراق . الأمر الذى يعتبر بمثابة المراوغة المعتادة وأن غموض عدم حسن بوش والضغط على إسرائيل جدياً يؤكد أن الأمر بمثابة تحركات تفاوضية مراوغة بلا مضمون وفعل حقيقيين . بل أنه يختم دراسته قائلاً : «أن فقدان الإرادة الرئاسية لتفعيل خريطة الطريق ، من شأنها أن تؤخرها وتضعها فى النهاية فى سلة القمامة ضمن رؤى السلام السابقة فى الشرق الأوسط» .

من هنا كان للخطاب واقع الممارسة الأمريكية أكبر الأثر السلبى على تحول «الثقة والتعاون» من كونها معضلة إلى أزمة مستفحلة ومستعصية .

(ب) الخطاب الفلسطينى الإسرائيلى :

بإيجاز نقول أنه خطاب يلخص أسلوب المفاوض الإسرائيلى من استراتيجية تمتد من شامير إلى شارون . ويتلخص هذا فى مقولة شامير التالية بعد هزيمته فى انتخابات يونيو ١٩٩٢ : «كنت سأجرى مفاوضات حول الحكم الذاتى لمدة عشر سنوات يتم خلالها استيطان نصف مليون يهودى»[١] .

إن الأمثلة على لغة المراوغة واستخدام مفهوم التفاوض كغطاء لحالات من اللاتفاوض الفعلى بل استخدام لغة الحرب والتهديد أثناء المفاوضات وخارج نطاقها ، ولقد تعرضنا لهذا الموضوع فى مقالات سابقة عديدة[٢] .. وخطورة ممارسات هذا الخطاب على مفهوم «الثقة والتعاون» بالغة السلبية ، خاصة عندما يتبنى المفاوض الإسرائيلى لغة الدعاية التى تظهر الفلسطينين بصورة الإرهابيين المعتدين ويقوم بقلب وعكس المنطق والصورة التى فضحها كل ذوى العقول المنصفة أمثال تشومسكى وبول فيندلى والعشرات من أعلام المحللين الموضوعيين ، فالحقائق والاحصائيات تقول أنه «في يناير ٢٠٠٢ كان عدد الضحايا من المدنيين الفلسطينيين ٢١٦٦ قتيل مقابل ٤٥٥٤ من المدنيين الإسرائيليين وذلك منذ بداية الانتفاضة فى ٩ ديسمبر ١٩٨٧ . أى بنسبة من ٥ إلى ١ . كما أن استخدام إسرائيل للذخيرة الحية فى تعاملها مع الفلسطينيين المدنيين قد تسبب فى جرح وأصابة ١٨,٧٦١ فلسطينى فى مقابل ٤٢٧ جريح إسرائيلى[٣] .

(١) كلايد هبرمان Clode Haberman ، جريدة النيويورك تايمز ٢٧ يونيو ١٩٩٢ .

(٢) راجع على سبيل المثال «دلالات لغة خطاب العدوان الإسرائيلى على لبنان» لكاتب السطور ، الأهرام ٩٣/٨/٧ .

(٣) راجع بحث صادر عن معهد أبحاث السياسات والتنمية على الموقع http /// www. globalresearch. otg.view article 2003

يمكننا كذلك الرجوع إلى السياق الحرج لانفجار العنف عند زيارة شارون للمسجد الأقصى وقبلها اغتيال رابين على يد يهودى متطرف . إلى سياقات تحرى عملية تزييفها فى الوعى الغربى[1] إن لم يكن محاولات تزييفها فى الواقع العربى كذلك فى كتابات بعينها على الساحة العربية ذاتها .

إن المشكلة الأساسية هنا أنه وفى ظل الدعاية والمرواغة الإسرائيلية ومحاولاتها استخدام أشكال المراوغة واللا تفاوض والاختفاء وراء مسميات إيجابية نجد أن الجانب الفلسطينى والعربى لم ينجح فى الوصول إلى الرأى العام الغربى ، ولم يفعل القوة البحثية الفلسطينية والعربية المؤهلة للقيام بهذه المهمة على ساحة الغرب وأمريكا خاصة بل لقد استمعت إلى مسئول فلسطينى كبير وهو يتحدث بالإنجليزية فيقول «أن على الفلسطينيين أن يقوم بحملة دعائية لتوضيح الحقائق واستخدم كلمة «الدعاية» Propaganda بالإنجليزية بكل معناها السلبى لدى المتلقى الغربى بدلاً من المفردات الأخرى البديلة والمتاحة . والتى تستطيع إيصال المعنى الحقيقى الذى يريده بالإنجليزية الصحيحة . فكم من فرص لم نستغلها وعندما تلوح أى فرصة فكأننا نعمل على الإطاحة السلبية تماماً بها مع كل الأسف هذا رغم وجود عدد هائل من الفلسطينيين من أصحاب الأداء الإعلامى اللغوى الرفيع . ولكن ليس الشخص المناسب فى المكان المناسب كعادة عربية تبدو وكأنها أصيلة مع الأسف .

(جـ) الخطاب الفلسطينى الفلسطينى :

لاشك أن «معضلة الثقة والتعاون» وتحويلها إلى أزمة منزلقة قد تصل إلى حالة من التدهور الخطير هى مشكلة فلسطينية – فلسطينية وعربية عربية ، ولم يتعلم العرب من دروس الماضى وملف العلاقات بين أبو عمار وأبو مازن تلك العلاقة التى حللها الكثيرون وأوضح وأحجم هذه المعضلة فى واقع تفاعلاتنا العربية والأمر يعود إلى هيمنة الأحادية والفكر التسلطى وافتقار القدرة على تفعيل طاقات العمل الجماعى الخلاق، وتلعب إسرائيل وكل خصومتنا وأعدائنا على هذه الحبال ، وهذا الملف بحاجة إلى دراسة مفصلة ولكن لابد من الاعتراف بهذا البعد وتأثيراته السلبية للغاية على إدارة الصراع العربى الإسرائيلى بمجمله وأهمية أن تكون هناك «نوبة صحيان أخيرة» لصالح الأمة كلها .

(د) الخطاب المصرى وإدارة معضلة / أزمة الثقة والتعاون :

يحتاج هذا الخطاب لدراسة تفصيلية ولكن بإيجاز نقول إن أهم ملامحه ومنذ خطاب السادات فى الكنيست يركز على أن القضية الفلسطينية هى جوهر الصراع

(١) لتفاصيل هذه السياقات راجع محمد وجيه ، حسن ، مناظرة لطرح فريدمان بخصوص هذه السياقات الحرجة بعنوان «كتاب فريدمان الأخير والسياق الحرج» ، الأهرام ٢٠٠٢/١١/٩ .

وإن السلام العادل يعنى الانسحاب من الأراضى المحتلة واسترداد الشعب الفلسطينى لحقوقه المشروعة واقامة دولته وعاصمتها القدس الشريف ولعلنا نعود لخطاب السادات فى الكنيست الذى لم يأخذ حقه فى التحليل الموضوعى فى جوانب بعينها خاصة فيما يتعلق بمعضلة الثقة والتعاون ، فنرصد ما قاله فيما يلى من نقاط تعد مرتكزات الخطاب المصرى فى هذا الصدد وهى :

إن المشكلة الفلسطينية هى الجوهر حيث يقول السادات : «لقد جئت إلى هنا إلا لكى أبحث عن سلام جزئى ووقف لأعمال الحربية فى هذه المرحلة ، لنترك المشكلة برمتها لمرحلة لاحقة» .

وعن نظرية الأمن الإسرائيلى وعقلية الجوار قال :

- «إن هناك جدار عملاق حاولتم بنائه على مدى ربع قرن من الزمان ، وقد تم تدميره فى عام ١٩٧٣ . لقد كان جدار للحرب النفسية المستمرة التى أخذت فى التصاعد والتدهور» .
- «لقد كان جدار للإستعداء ...» .
- «لقد كان جدار يزعم أن الأمة العربية قد أصبحت جثة هامدة لدرجة أن بعضكم قد تنبأ أن الأمة العربية لن تنهض إلا بعد خمسين عاماً أخرى ...» .
- لقد كان جدار يهددنا دائماً باستخدام «اليد الطولى» القادرة على الوصول إلى أى مكان فى العالم العربى» .
- لقد كان جدار يهددنا بالدمار إذا ما حاولنا استخدام حقنا الشرعى لتحرير أرضنا المحتلة .
- يجب علينا الآن أن نعترف معاً بأن هذا الجدار قد سقط وقد تم تدميره فى عام ١٩٧٣ ... «**ولكن ظل هناك جدار آخر** هذا الجدار الآخر يشكل حاجزاً نفسياً مركباً بيننا أنه حاجز صنعه الشك والاشتباه – انه حاجز العدائية ، انه حاجز الخوف من الخداع ، انه حاجز من الشك تجاه أى فعل أو قرار ، إنه حاجز التفسيرات الخاطئة لكل حدث ولكل بيان...» .
- «إن هذا الحاجز النفسى هو ما أقصده .. إنه الحاجز الذى يمثل سبعين بالمائة من المشكلة ...»[1] .

إن ما يثار ويحدث اليوم على أرض الواقع يتمثل فى استمرار تكرار أخطاء الماضى فيما يتعلق بالعقلية الإسرائيلية فها هو الجدار الذى دمر فى ٧٣ (بارليف)

(١) من نص خطاب الرئيس السادات بالكنيست الإسرائيلى فى ١٠ من ذى الحجة ١٣٩٧ هـ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ م .

لأن التوسع على حساب الغير لا يجلب الأمن مهما طال الأمد . وها هى العقلية تتجسد فى الجدار العنصرى الفاصل الجديد والذى يبلغ طوله فى المرحلة الأولى ١٤٨ كم ويصل ارتفاعه إلى ٨ أمتار . وهذا بدوره يعمق الحاجز النفسى ويعيق أى فرصة حقيقية لأى نوع من بناء الثقة . يقول براون فى كتابه بعنوان «الحملة الأخيرة» أنه وبعد ن أثبت العرب استعدادهم الحقيقى للسلام فإنه لابد من تغيير روية العقل الإسرائيلى ونزعاته بخصوص الصراع مع العرب وينادى بتفهم مقولات السادات المتكررة بأن السلام سيتعرض للإنهيار فى وقت ما إن لم يكن شاملاً وعادلاً فى نهاية المطاف . ويطالب براون أن من ضرورات السلام أن يتم التحرر من عقدة الأمن المستعصية فى العقل الإسرائيلى ...»[١] .

ويقول الباحثان ستيفن كوهين وادورد عازار فى دراستهما بعنوان «من الحرب إلى السلام» اللذان قدما تقيماً عن الفترة الانتقالية بين مصر وإسرائيل من حالة الحرب إلى السلم .. أن المصريين يؤكدون أن عملية الأمن والإحساس به لابد أن تكون متبادلة ، والأمن للمصريين يتخطى الحدود ويصل إلى أهمية إحقاق الحقوق الفلسطينية ويضيف الباحثان : أن المصريين يرون أن الإسرائيليين يتسمون بقصر النظر وضيق الأفق ولم يرتفعا لمستوى مبادرة السادات[٢] ويضيفا أن الإسرائيليين على خطأ كبير نتيجة فهم لفكرة السلام المنفرد أن إسرائيل قد حرمت نفسها من جنى ثمار قبولها عندما أوضحت أنها انسحبت من سيناء حتى تدعم وجودها فى الضفة والأراضى المحتلة الأخرى ، ومن ثم لم يرَ المصريون أى علامات أو أشارات تفيد بأن إسرائيل قد غيرت من مفهومها للأمن المبنى على التوسع[٣] .

من هنا نرى ويرى الباحثون الموضوعيون مكمن الخلل الكبير فى موضوع «معضلة الثقة والتعاون» التى لم يتعامل معها الإسرائيليون على قدر الفرص التاريخية لصنع السلام فى هذه المنطقة، كما أن الخطاب الأمريكى الراهن لم يساعد فى نفس هذا الاتجاه بل ساهم فى تحول المنطقة إلى حالة من الغليان وحلقات من العنف .

(١) راجع المرجع التالى : William, Brown, "The last crusade" Nelson Hall, chicago, 1980

(٢) راجع المرجع التالى : Stephen, cohen & Edward and Azar "From war to peace, Journal of conflict Resolution. vol. 25 No. 1, March 1981 p. 68.

(٣) السابق ص ١٠٢ .

٦-٢ ماذا عن الخريطة الذهنية الكلية لسيناريوهات نهاية الطريق . خاصة التهديد بطرد عرفات او اغتياله ؟

أنطلاقاً من هذه النقطة نرصد فيما يلى الخريطة الذهنية لسيناريوهات «نهاية الطريق» باعتبار سيناريوهات مصير عرفات كسيناريوهات حاضنة (NESTING SCENARIOS) يتمخض عنها سيناريوهات أخرى(NESTED SCENARIOS)

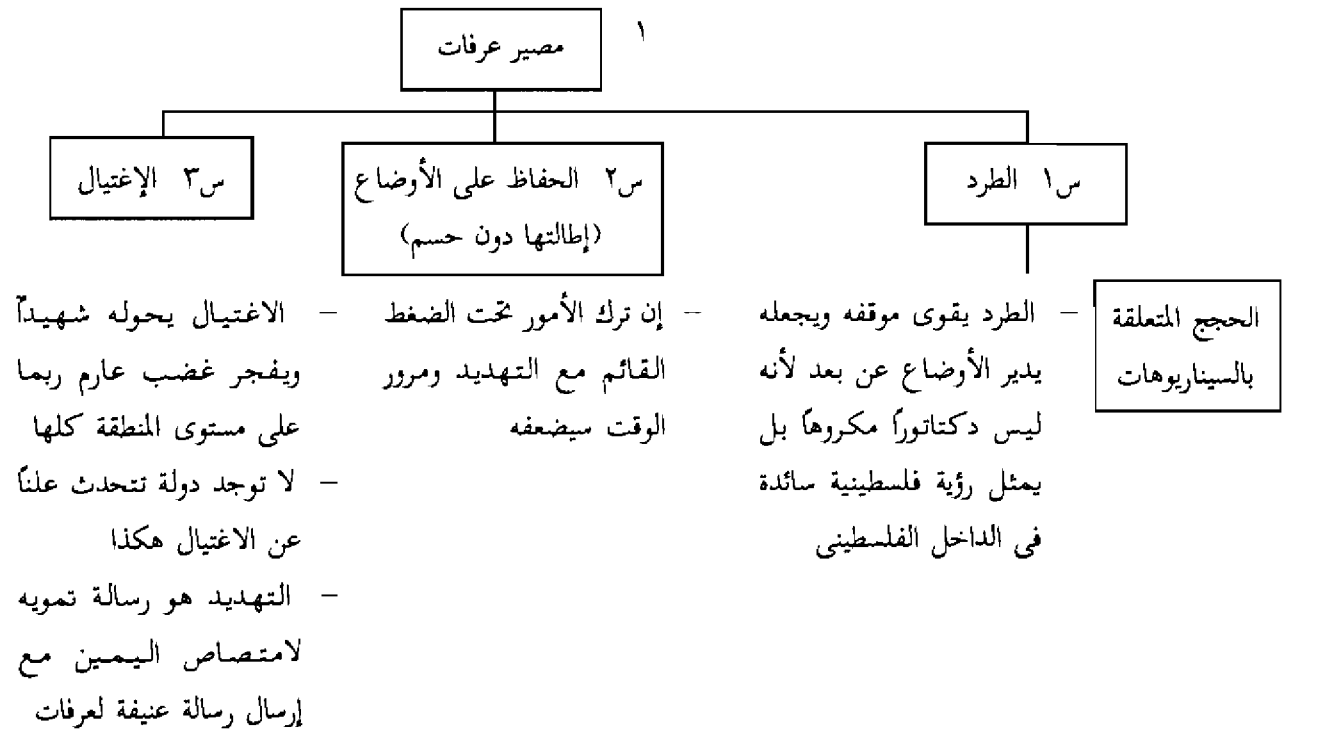

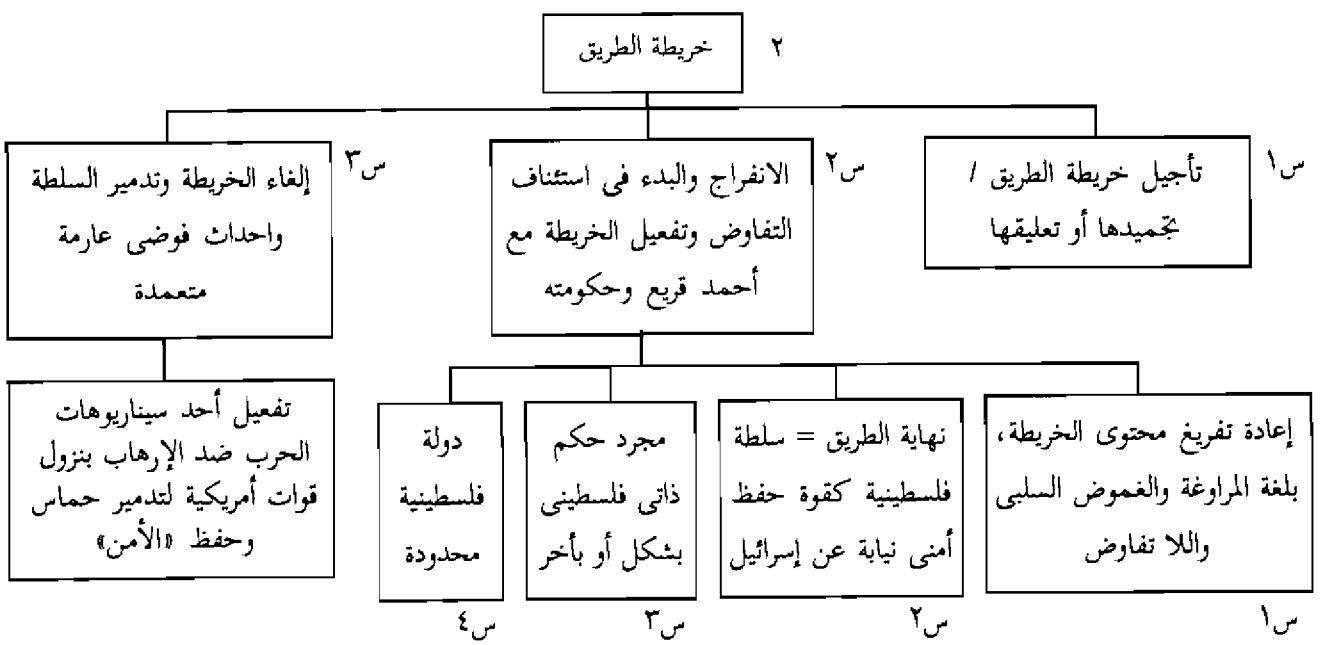

٦-٣ إدارة غموض نهاية الطريق

كما ذكرنا آنفاً فإن دراسات تحليل الغموض تعد من أهم الدراسات التمازجية الحديثة من منظور لغويات التفاوض والتواصل عبر الثقافات ، ولقد حاولنا فى هذه الدراسة تقديم رؤية أولية للخطابات المتصارعة التى أثرت على معضلة الثقة والتعاون ، ولاشك أن محاولة إدارة هذه الخطابات المتصارعة يتعلق مباشرة بإدارة الغموض . ويمكننا تحليل خطابات إدارة الصراع العربى الإسرائيلى من خلال مستويين رئيسيين للغموض وأنماطه وآلياته ، أحدهما على مستوى أفعال القول ونصوص التفاعلات المختلفة والقرارات الدولية الخاصة بأحداث الصراع المنفصلة والمتراكمة ، وما يدخل هنا فى إطار «لغة المراوغة» تارة وفكرة «الغموض البناء» (Constructive Ambiguities) . والتى تم تبنيها لتمرير مآزق عديدة فى حينها تم التوقف لاحقاً أمام غموض لم تتم إدارته نحو حلول حاسمة ، ولعل اتفاقات أسلو كانت أكثر النصوص غموضاً وإتساعاً فى تاريخ الاتفاقيات وقد «أبدع» المفاوض الإسرائيلى فى استخدام لغة «الغموض السلبى» وهو الأمر الذى يحتاج إلى دراسة أكثر تفصيلاً ، وبعد ذلك وصلنا إلى خريطة الطريق التى أفرغها المفاوض الإسرائيلى بتفاعلات الغموض السلبى أيضاً .

فمثلاً جاء قرار الوزارة الإسرائيلية **قبولاً غامضاً** ، حيث قبل بيان شارون خطة خريطة الطريق مع الالتزام بالتحفظات الإسرائيلية عليها (١٤ تحفظ) ومنها «التأكيد على الدولة اليهودية» وعدم القبول بحق العودة لا آنفاً أو مستقبلياً رغم تصريحات باول وبوش بأن خريطة الطريق هى للتنفيذ وغير قابلة للتفاوض .. ثم أعلنت حكومة شارون تفكيك بعض المستوطنات العشوائية لتكريس الإيحاء بوجود مستعمرات قانونية وأخرى غير قانونية ، وكأن قرارات سلطة الاحتلال تمتلك الحق القانونى فى التصرف فى الأراضى الفلسطينية . فجعل قضية الاستيطان موضوعاً تفاوضياً دون الإقرار بمبدأ تفكيك المستوطنات . ولقد جاءت صيغة الموافقة التى جاء بها بيان الحكومة الإسرائيلية فى ٢٥ مايو ٢٠٠٣ فى إطار آليات وتنوعات الغموض من أجل المخادعة والمراوغة وتمرير أجندة إسرائيلية لا تراعى الطرف الآخر ، فلم يوافقوا صراحة على خريطة الطريق بل صادقوا على بيان رئيس الوزراء الذى أعلنه فى ٢٣ مايو ٢٠٠٣ «بأن إسرائيل توافق على قبول الخطوات المحددة فى خريطة الطريق أستناداً إلى بيان الإدارة الأمريكية الصادر بنفس التاريخ ، الذى تتعهد به الولايات المتحدة لمعالجة ملاحظات إسرائيل على خريطة الطريق بجدية عند تطبيق الخريطة» . وهذه الملاحظات تفكك أسس الخريطة وتفرغها ككل . وإذا كان فيما سبق ما نعتبره أمثلة على مستوى من الغموض التكتيكى ، فإن مستوى إدارة الغموض الكلى الاستراتيجى يتمثل فى النظر إلى دراسة خريطة السيناريوهات الحاضنة والمحتضنة آنفاً والتى توضح سمات الخطابات المتصارعة وحجم الانزلاقات المحتملة والمترتبة على فقدان التعامل

الجدى مع معضلة الثقة والتعاون ، وبالتالى مع عملية بناء السلام العادل التى أشرنا إليها وهو الأمر الذى يوضح حجم المجهود المطلوب لإدارة الغموض الراهن ، وعلى المفاوض العربى أن يحشد كل الطاقات للإمساك بخيوط أفضل السيناريوهات واحتواء الصور الأكثر سوءاً ، بل ينبغى على المفاوض العربى أن يجتهد فى إيجاد صيغ ومعادلات عربية إقليمية ودولية جديدة أكثر جدية وموضوعية للتحول نحو السلام العادل وأن يطالب بالتعامل العلمى والإنسانى مع متطلبات مسألة الثقة والتعاون – خاصة فيما نملكه . أى على أصعدة الخطاب الفلسطينى الفلسطينى والعربى العربى ومنع عملية تحميل سيناريوهات الصراع العربى الإسرائيلى على سيناريوهات الحرب ضد الإرهاب التى يسعى لها اليمين المتطرف فى كل من إسرائيل والولايات المتحدة. ولعل ما ننوه إليه هو خطر «روتنة الصراع» Routinization وهو التآلف مع الغموض السلبى وانتهاج سيناريو النعامة من منطلق الاحساس الوهمى باللجوء إلى منطقة آمان وهمية وقتية (Com Fort Zone) فهذا الذى قد يحدث نفسياً فى خضم تشابك السيناريوهات وتعقيداتها وخطورة تبعاتها فى هذا فلتشحذ الهمم وليجتهد المجتهدون وليأخذ بكل الأسباب والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .

سابعاً : العقل العربى والعقل الأمريكى ومعضلات «توصيل الكلام» في عصر المعلومات!

تعد مشكلة توصيل «الرسائل» أو «الكلام» فى الحوار والتفاوض من المشاكل المعروفة التى قد تتحول فى سياقات بعينها إلى معضلات حقيقية قد لا يمكن التغلب بسهولة عليها ، خاصة إذا كان يغيب على البعض الأبعاد المركبة والتقنية المباشرة أو غير المباشرة فى عمليات التفاعل المختلفة . ومن خلال هذا المقال نحاول رصد أهم هذه الأبعاد التى قد تمنع وصول الرسائل (أو الكلام) ، أو قد تتسبب فى تشويه أو إنقاص المحتوى أو بتره وابتساره وهو الأمر الذى قد ندفع بسببه ثمناً ما . وهي أبعاد يمكن التطرق إليها من خلال أجواء واقعنا الثقافى من ناحية وكذلك من خلال أجواء عصر المعلومات وثقافة هذا العصر ذات الخصوصية غير المسبوقة .

٧-١ معضلات توصيل «الكلام» فى أجواء واقعنا الثقافى :

لعل من الأفضل توضيح هذا المستوى بالأمثلة المباشرة التالية :

- **المثال رقم (١)** ... مدير مؤسسة كبيرة يقف أمام المصعد ومدير أحد البرامج بتلك المؤسسة يقف مع المنتظرين للمصعد .. فيقول للمدير صباح الخير ويتبادلان الحديث ثم يفاجأ بغضب مكتوم لمدير المؤسسة .. يظهر فى عتاب شبه (توبيخى بعض الشئ) عندما يقول : «حضرتك ليس من صلاحياتك أن تعين أعضاء جدد .. فهذا الأمر مسئولية المؤسسة ومديرها فقط .. فيطلب مدير البرنامج – على الفور – اللقاء لتوضيح الأمر .. وأثناء المناقشة التفصيلية يبدد لدى مدير المؤسسة ما وصله من معلومات مغلوطة وأى تخطى لمسئولياته وأى تعدى على مسئوليات الآخرين بتلك المؤسسة وينتهى الأمر – لحسن الحظ –

على خير . وهذا المثال الحقيقى يطرح علينا ما يلى :

- هل لو لم يتصادف وجود الطرفين أمام المصعد فى تلك اللحظة ما كان ليتبدد هذا الأمر نهائياً وتظل هناك تصورات خاطئة وانطباعات غير حقيقية تعتمل مع تفاعلات أخرى فتشكل فى نهاية المطاف تقيماً خاطئاً وظالماً من قبل الإدارة العليا لمدير البرنامج ؟!

والتعليق الأساسى على هذا السؤال هو أنه وبسبب شيوع فجوة الإدارة (Management Gap) بسماتها المتعددة وعدم وجود لقاءات مباشرة وقنوات اتصال مستمرة دائرية فى تركيبة إدارة العمل ، ستظل الأمور متعلقة بما أسميه «بالإدارة بالتطير السلبى وبالنميمة والوشاية أو بالانطباعات الخاطئة وغير الدقيقة فى أحسن الأحوال .. فلا تكتشف أدوات وأساليب النميمة أو يتم تبديد المعلومات الخاطئة أو المغلوطة إلا بمحض الصدفة !!!

- **المثال رقم (٢)** ... أو مثال «الجامعات الحديثة» و «فلتر» السيد عوضين ! يتم فى الجامعات ومؤسسات التعليم فى الدول المتقدمة تقييم الأساتذة كما يتم تقييم الطلاب ، فالطلاب من حقهم تقييم الأساتذة (رسمياً) فى استمارات معدة لهذا الغرض خصيصاً ، وهو الأمر الذى بدأ يتم فى بعض الجامعات أو المؤسسات التعليمية (المتزايدة العدد) فى واقعنا الثقافى العربى وهذا أمر يُحمد وفيه من الإيجابية والتغلب على سمة ثقافية سلبية وتسلطية تقول «بأنه لا يصح للطالب تقييم الأستاذ من باب «أن ده عيب» وما يصحش !!» وأيضاً للتغلب على سمة سلبية أخرى تتمثل فى مقولة : «أن الطالب يكون فى العادة تحت الضغوط ولم يتعود على الموضوعية ، ومن ثم فإن استمارة التقييم قد تمثل فى يده أداة للتنفيث عن الكبت من أمور كثيرة وأنه قد يصب جام غضبه على «الأستاذ المسكين» فى هذا السياق ليغطى تقصيره وعدم التزامه ..» كما أن فى ذلك وطبقاً للعقلية التسلطية (فقدان لهيبة الهيئة الأكاديمية !) .

... ولكن اصرار هذه الجامعات أو المؤسسات التعليمية «الحديثة» على وضع استمارة التقييم فى يد الطالب ، خاصة فى برامج الدراسات العليا ليعد أمر مهم ومطلوب وجيد ولا يصح إلا الصحيح فى نهاية المطاف .. ولكن هناك بُعد آخر سلبى فى واقعنا الثقافى علمت عنه من أكثر من مصدر أكاديمى واكتشفته وأنا أراقب كيفية «القيام بتنفيذ مثل هذه المهمة الحيوية والجديدة على واقعنا لكى يكون التقييم فى العملية التعليمية مزدوجاً (أى للطالب وللأستاذ) ويكون ذلك فى صالح الجميع بموضوعية متجددة ... وهذا البعد السلبى الذى يؤثر

سلباً على عمليات التقييم الموضوعى والمتجرد هو ما أسميه بظاهرة «فلتر السيد عوضين» وأخترت اسم «عوضين» وأنا أتذكر هنا الناقد الرياضى الموسوعى والفذ المرحوم «نجيب المستكاوى» الذى كان يقوم باعطاء نمرة من عشرة لكل لاعب عقب انتهاء المباريات ولأن الجماهير تشتاق لتقييمه الذى كان دائماً يتسم بالموضوعية والطرافة الممتعة ، ولقد ورد فى أحد تقيمات أ. المستكاوى أن تحدث عن أداء أحد اللاعبين الذى أخفق تماماً فى أداء مهامه فى الملعب وكان اسمه عوضين .. فجاء تقييم ناقدنا الرياضى الكبير هكذا ..

«... أما عوضين فيستحق صفرين .. لكل عوض صفر ...» والمقصود بعوضين «وفلترته» فى عملية التقييم فى سياق العملية التعليمية هو أنه وبعد أن يملأ استمارات التقييم للأستاذ يأخذها الأستاذ «عوضين» ويكون هو المسئول عن تقديم قراءة لها .. وهناك طرق تقنية صارمة احصائية معروفة .. إلا أن «عوضين» قد لا يأخذ بها .. ويترك العنان «لفلتره الخاص» أى ما يراه هو أو من أوحى له فى كثير من الأحيان وبمرور الوقت واستمرار عوضين فى مهمته هذه تصبح له المكانة الحقيقية التى لا تقل عن مكانة العميد أو رئيس هذه الجامعة أو تلك ، فترى سباق لمخاطبة ود «عوضين» ورضاه من قبل بعض «الأساتذة البراجماتيين» وتلاحظ هذا من حرصهم على ارضائه والتحدث إليه ليس لكونه أحد الموظفين المحترمين فقط فى إطار الإدارة الأكاديمية الحديثة ، بل على كونه «الشخص رقم (١) بالمؤسسة وإن بإمكانه «فعل الكثير» .. والطلاب يفضحون أمر «عوضين» لتداخلاته غير المفترضة فى كثير من الأحيان فى تشكيل ذهنيتهم بشكل محبب أو منفر أو عدائى تجاه هذا الموضوع أو ذاك أو تجاه هذا الأستاذ أو تلك الأستاذة ، والطلاب يلتقطون اشاراته الإيحائية ويتعرفون عليها بين مُجيب لها لإدارة مصالحه وبين نافر منها ينتقدها ويوصلها جيداً للأساتذة شاكياً ومتذمراً وعنده الحق ... وهؤلاء قد يعطون «صفرين» فى إدراكهم له وفى إدراكهم للوضع برمته .. والمشكلة الأساسية فى وجود ظاهرة «فلتر عوضين» فى التجارب الأكاديمية «الحديثة» فى واقعنا تكون عادة «غير مقصودة» ولكن نتيجة انشغال أعضاء الإدارة العليا الشديد ، فيكون ثمن هذا الانشغال وعدم التفرغ الكافى لمهام الإدارة العديدة والمستهلكة لوقت كبير فى واقعنا هو «الاعتماد الذى لا مفر منه على أى «عوضين» ذكى وفاهم ويمكنه أن « يمشى الشغل» ويكون وهذا الأهم – مقبولاً وموضع ثقة ممن مكنه لهذا الدور .. وبالطبع البديل للتغلب على ومنع ظاهرة «فلتر عوضين» هو وجود إدارة أكاديمية حديثة يكون أ. ب الخاصة بها وجود اجتماعات دورية فعالة وحصول نوع من التأكد والمتابعة المباشرة (Feedback) أولاً بأول – وأن يكون للأستاذ أن يحصل على صورة

من تقييم الطلاب له وهو ما يُسمح به بالطبع فى أى جامعة أو مؤسسة تعليمية حديثة بالمعنى الفعلى وليس بالمعنى الشكلى للكلمة كما فى واقعنا الأكاديمى الذى أنتج مصطلحاً جديداً للغاية ألا وهو «فلتر عوضين» حيث يصل الكلام للإدارة العليا من خلال فلتره مصبوغاً عادة بما يراه هو فى المقام الأول وهذا الأمر غير مسموح بحدوثه فى الإدارة الأكاديمية المتقدمة حقاً وفعلاً ولهذا كنت أرى وأنا أقوم بالدراسة وكذلك بالتدريس فى جامعة جورجتاون جريدة للطلاب تنشر تقييمهم للأساتذة .. ليس فقط للتعبير عن حرية الرأى ولكن ربما لتأكيد أن وجهة نظرهم قد وصلت للجميع دون تدخل «أى فلتر» .. وخاصة إذا كان «عوضين» !! أو «جونين» !! .

المثالان (١) ، (٢) أعلاه يوضحان بجلاء أنه لو كان هناك عبور حقيقى لفجوة الإدارة القائمة وبعمق فى واقعنا الثقافى ما كنا قد رأينا ازدهاراً للإدارة بالتصورات الفورية» وللإدارة بالنميمة» و «الإدارة بالمصالح الذاتية البعيدة عن التقييم الموضوعى» و «الإدارة بفلتر عوضين» .. الذى قد لا يكون «عوضين» الموظف البسيط» الذى يلعب دوراً أكبر من حجمه فى العملية الإدارية بل قد يكون كذلك «الدكتور عوضين» ، ومع الأسف فيدير العملية الأكاديمية كلها من خلال فلتره وما قد يراه بذاتية قاصرة فيلعب مباراة «الدمج والاقصاء» دون الحد الأدنى من المعايير الموضوعية ودون متابعة إدارية حقيقية لأدائه من قبل الإدارة العليا المشغولة تماماً فى العادة .

٧-٢ معضلات توصيل «الكلام» فى عصر المعلومات او «فى عصر التخمة المعلوماتية» (Infoglut)

إذا ما انتقلنا الآن لنرصد معضلات «توصيل الكلام» فى عصر المعلومات .. لوجدنا العديد من الأبحاث القيمة خاصة فى مجالات علم اللغويات الحديثة ، فهناك دراسات تؤكد على أهمية إدارة التفاعلات بالأسلوب الذى يمكن من التغلب على مشكلة الفلتر الذاتى للمرسل والمتلقى للتحقق من وصول الرسالة أو الكلام المنشود حقاً ، وهناك دراسات أخرى عن طبيعة قنوات الاتصال ذاتها وتأثيرها على عملية وصول وتوصيل الكلام المقصود ، ولعلى أرصد هنا بشئ من التفصيل احدى الدراسات المهمة التى تتعامل مع عوائق الاتصال الفعال فى عصر المعلومات والتى وردت فى كتاب مهم مؤخراً بعنوان «**التواصل والمستقبل**»[١] الصادر عن جمعية المستقبل الدولية ، وهى دراسة لمايكل مارين وجاءت بعنوان «اللا تواصل والمستقبل» فيذكر أن كلمة «التواصل Communication هى كلمة مثالية للغاية ولفهمها بالدرجة المطلوبة من التعمق لوجب علينا دراسة «اللا تواصل وأسبابه - Non Communication ، لأن الفجوة بين ما نعرفه عن هذا الأمر وما ينبغى أن نعرفه لا

(١) Marien, Michael, Non. Communication & the Future, in Communication & The Future, ehted by Howard F. Didsbury 1982.

تزال كبيرة وعميقة ، خاصة فى ظل مجتمع المعلومات أو ما يسميه هو «**بعصر التخمة المعلوماتية**» (**In Foglut**) .. وأول ما يذكره فى بحثه القيم هو أن المجتمع الأمريكى بكل ما يموج فيه من تيارات ومناظرات إلا أنه (أى هذا المجتمع) لم يشهد مناظرات بالعمق المطلوب وبالتواصل المفترض من حيث الوصول إلى نتائج وقرارات حاسمة بخصوص القضايا الحيوية للغاية ، ويذكر هنا على سبيل المثال أنه لم يحدث حوار أو تواصل بين أنصار «عسكرة أمريكا والاعتماد على قوتها العسكرية بشكل أساسى فى العلاقات الدولية وبين أنصار الاعتماد على الدبلوماسية والحوار الإيجابى عبر الثقافات وخفض التسلح فى كل أنحاء العالم ، خاصة فيما يتعلق بالسلاح النووى وأسلحة الدمار الشامل وأن الأمر – على حد قوله – بخصوص هذا الموضوع الحيوى بين الفريقين يزداد سوءاً وبالرغم من أدوات التواصل العديدة التى وفرها عصر المعلومات ويقول أن الأمر وكأننا أضفنا إلى مقولة «هؤلاء الرجال من فاقدى البصر الذين يحاولون وصف الفيل..» ، أنهم قد أصبحوا فاقدى السمع كذلك ! اشارة لمعضلة التواصل بين فريقى العسكرة والدبلوماسية فى الواقع الأمريكى.. ويركز ما يكل مارين بعد تلك المقدمة التى توضح اشكاليات عملية التواصل على خلفية عصر المعلومات على أربعة فئات أساسية تحتاج إلى النظر لها وتتعلق كلها «بالاشكاليات التواصلية أو «عدم التواصل» وهى :

١ – الإخفاق التام فى عملية التواصل :

(Failed Communication)

ويتمثل فى عدم إرسال رسالة مهمة .. كان يتعين إرسالها أو إرسالها مع عدم وصولها للطرف المنشود (كما فى حالة منع نشر معلومة مهمة بعينها أو لعدم نشر كتاب مثلاً أو رسالة لم يتم تلقيها أصلاً (كما فى حالة البريد المفقود أو لأننا اشترينا كتاباً ولكن لم نفتحه ونقرأه ، أو لعدم إدراك المحتاج أو الباحث عن هذه المعلومة أو تلك لمكان الحصول عليها .

٢ – الاتصال المعيوب : (Flawed Communication)

أى إرسال رسالة تحتوى على خطأ غير متعمد (يؤثر على معنى ومغزى الرسالة) أو لوجود كذب أو مغالطة مقصودة بها ويذكر ما يكل مارين أمثلة كما فى تفسير الحكومات عادة للأحداث ، على سبيل المثال .

٣ – سوء الفهم فى عملية التواصل :

(MisCommunication)

ويتمثل فى تلقى الرسالة واستلامها ولكن يحدث الاخفاق فى فهم مغزاها الحقيقى أو فى معناها أو الاخفاق فى تصديقها أو استيعاب نتائجها (نتيجة لاختلاف نظام القيم مثلاً .

٤ - إدراك الاتصال على كونه مهماً أو غير مهم :

(Junk Communication)

ويتمثل فى رسائل نتلقاها ولا نعطيها أى أهمية لعدم أهميتها الفعلية كإعلانات لا تهمنا أو فى موضوعات خارج نطاق تخصصنا أو أجندة اهتمامنا .. وهذا الأمر نسبى بطبيعة الحال .

وهذه الفئات الأربعة هى نتاج المجتمعات الحديثة فى عصر المعلومات وتفيد الظواهر إلى استمرارها فى المستقبل إن لم تزداد شيوعاً وسوءاً من جراء «التخمة المعلوماتية التى يشهدها العالم ولم يتم التعامل الأكثر فاعلية معها إلى الآن . والتى أثرت بشكل كبير على إنسان هذا القرن - إيجاباً وسلباً ولكن تظل مخاطر السلبية لعصر المعلومات كبيرة وتتمثل فى زيادة وهيمنة عقلية «التصفح» والمرور السريع على كم ضخم من المعلومات دون التركيز على المهم منها واستيعابه وهضمه بالشكل اللائق لتكوين ملكات النقد والإبداع الحقيقيين ، أضف إلى ذلك أن هناك دراسات حديثة أثبتت التأثير السلبى لعصر المعلومات على مهارتى القراءة والكتابة المتعمقة .

وكل هذه السمات تؤثر سلباً على عمليات «توصيل ووصل الكلام والرسائل ، فإذا أضفنا ما ذكره مايكل مارين بخصوص فئات اللا تواصل الأربعة أعلاه والتى تتزايد فى سلبية تأثيرها يوم بعد يوم على عملية التواصل الإيجابى داخل الثقافات وغيرها فى ظل أجواء عصر المعلومات ، لأدركنا حجم الجهد المطلوب لتجنب الآثار السلبية لعدم التواصل والتى قد تصل إلى حالة من تسبب إفساد للعلاقات بين الأفراد والدول إن لم تدمرها تماماً .

لقد تعاملنا فى هذا المقال مع خصوصية أجواء واقعنا الثقافى التى تؤثر سلباً على التواصل الفعال وتحول الأمر إلى مستوى منحدر من اللا تواصل ، خاصة وأن الأمثلة التى حاولنا رصدها هى من واقع تفاعلات الإدارة الأكاديمية لجامعاتنا ومؤسساتنا العلمية التى من المفترض أن تكون هى قاطرة النمو والتقدم للمجتمع كله فما بالنا بمستويات اللا تواصل أو (التفاخر) والعياذ بالله فى سياقات تفاعلية أخرى فى واقعنا الثقافى .. ولقد أفادت دراسات علم اللغويات الاجتماعية والنفسية الحديثة برصد أمثلة ذات طبيعة خاصة «لفكر اللا تواصل» فى ظل مجتمع المعلومات ومنها دراسة مارين التى تعرضنا لها بشئ من الرصد والتحليل وما تضمنته من دق لأجراس الخطر الذى قد يتسبب فيه عدم التواصل الفعال داخل قطاعات المجتمع الأمريكى بخصوص قضايا حيوية للداخل الأمريكى ولأمن وسلامة العالم كله.. فهل آن الآوان أن يهتم المعنيون أكثر بهذه الدراسات الحديثة على مستوى العالم كله وتحويلها إلى ممارسات تواصلية سوية وعادلة ولائقة بالإنسان الذى كرمه

الله سبحانه وتعالى بالعقل والإدراك سواء فى واقعنا العربى أو فى الواقع الغربى ذاته... فكل من الواقعين يحتاج إلى تكاتف العناصر المدركة لعالم تسوده دبلوماسية الحوار وأخلاقيات العلم الباحث عن ترسيخ العدالة ومنازلة التسلط والسطحية والانتهازية سياسية كانت أو اجتماعية أو سمها ما شئت والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .

مفهوم «التنبوء» العلمى قد يقصد به التنبؤ المؤكد PREDICTION وقد يقصد به التنبؤ الإحتمالي FORECAST .. ويندرج إطاريهما عشرات المفاهيم العلمية الأخرى فى مجال المستقبليات ، ذلك المجال العلمى عبر التخصصى الذى يعنى باستشراف المستقبل وصياغة السيناريوهات فى السياقات المختلفة بهدف التدخل الإيجابى لتفعيل سيناريو معين واحباط وإحتواء آخر غير مرغوب فى تحقيقه . هذا المجال العلمى الخصب هو عصب نمو الأمم .. ولكى يكون علماً فى خدمة إنسانية هذا العالم كان لابد من إدراج بعد الأخلاقيات فى إطار كل المناقشات العلمية ، خاصة فى إطار مجامع الفكر المستقبلى الكبرى فى هذا العالم .. ولقد علقنا على أهمية هذا البعد فى مداخلات سابقة عديدة وتعرضنا لمنطق الأخلاقيات من منظور عبر ثقافى وهو ما لا يزال بحاجة إلى المزيد من البحث والحوار العلمى ، وهو ما سنتناوله فى سياق آخر بإذن الله ، ولكن ماذا حدث من تداخلات مع هذا العلم الحيوى للغاية للجميع ؟!

ثامناً : معضلات «التنبؤ» و«النبوءات» فى تفاعلات «العقل العربى» و «العقل الأمريكى»

لقد زاحم الخبراء فى هذا المجال أصحاب الأجندات غير الأخلاقية فوجدنا من يتذلل مسمى العالم ليضع تنبوءات دون الأخذ بخطوات العلم الصارم ، قدر ما وصل إليه اجتهاد المجتهدين فى هذا الصدد فوجدنا ما يشبه تقارير الأجهزة المخابراتية التى تغلف تحت مسمى «أبحاث المستقبل» وهى بعيدة كل البعد عن انتهاج قواعد العلم والحد الأدنى من الطرح العلمى المنضبط . كما وجدنا أصحاب «البلورة السحرية» (CRYSTAL BALL) ومن يدعى قراءة الكف ، فبينما أشتهر الرئيس الأمريكى الأسبق جون كيندى PALM READING أخذه بأسباب علم المستقبليات بجدية كما أنعكس فى أهم مقولة فى خطابه «أن هذه الأمة ستضع رجلاً فوق القمر وتعيده سالماً إلى الأرض بعد عشر سنوات من اليوم . ولقد حدث .. حيث تم التفعيل العلمى لهذا السيناريو المعيارى الشهير فى أدبيات العلم والسياسة معاً . وعلى النقيض فلقد أشتهر عن الرئيس الأسبق رونالد ريجان أنه كان يعطى اهتماماً كبيراً للغاية لقارئة كف مشهورة فى واشنطن ، فكان يعطى لها مساحة مهمة من وقته وينشغل بما تذهب إليه هذه العرافة الشهيرة .

▪ إسحاق نيوتن وفك شفرة الإنجيل

كذلك تداخل مع مجال المستقبليات فى الغرب . مجال ما عرف بالنبوءات . وإذا كان هناك حجم كبير لمبيعات النبوءات والاهتمام الشعبى بها فى الثقافة الغربية .

فإن حجم المؤلفات والمبيعات لأدبيات ثقافة النبوءات قد شهدت ارتفاعاً كبيراً للغاية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ، ومع هذا الاهتمام الكبير لثقافة النبوءات ومحاولات البعض ربطها عضوياً بفكر التنبؤ العلمى وجدنا الكثير من الأعمال . وقرأنا عن انشغال العلماء والساسة معاً بكل من التنبؤ العلمى والتنبؤات الدينية . ولعل آخر ما وقعت عينى عليه فى هذا الصدد هو خبر ورد بالصحف فى ٢٠٠٣/٢/٢٣ وجاء فيه أنه لم يتبق على المعركة الفاصلة التى تسبق نهاية العالم سوى ٥٧ عاماً فقط طبقاً لتقديرات العالم الفيزيائى الإنجليزى الشهير سير **إسحاق نيوتن** الذى عاش فى القرن السابع عشر ، وذلك حسب مخطوطة كتبها بخط يده ، عكف فيها على محاولة فك شفرة الإنجيل وبالتحديد سفر «الرؤيا» لمعرفة موعد المعركة الرهيبة بين الخير والشر وبالإضافة إلى إنجازاته فى علم الفيزياء وأشهرها قانون الجاذبية ، فإن نيوتن كان معروفاً بتعمقه فى علم اللاهوت ، وكتب نحو ٤٥٠٠ صفحة فى محاولة للتنبؤ بموعد نهاية العالم ، ولعل من المهم أن نقدم هنا قراءة فى أدبيات النبوءات فى الغرب وسنجد أن هناك نمطين أساسيين تندرج فى إطارهما معظم الكتابات والحوارات والنمط نجده يتسم فى جهود المعنيين بتفسير النصوص الدينية عن علامات نهاية العالم أو ما نسميه فى واقعنا العربى الإسلامى بأشراط الساعة وعلاماتها الصغرى والكبرى وهناك كم كبير من الأدبيات تندرج فى إطار ثقافة النبوءات الغربية تفسر النص الدينى على هذا المنوال وهناك بالطبع التشابه والاختلاف بين العقائد فى هذا الأمر . ولكن التوجه العام لمثل هذا النمط هو مجرد التفسير وتوضيح الرؤى الدينية فى سلام وفى إطار دعوة للتوبة والعمل من أجل الإنسانية . دون عنف أو فرض رأى أو معتقد ولكن النمط الخطر حقاً . النمط الثانى الخاص بتفعيل الرؤى الدينية على أرض الواقع حتى ولو على حساب الآخرين وعقائدهم بشكل سافر وعدوانى لا مثيل له فى العدوانية وهو ذلك النمط المتمثل فى الدعوة المتصهينة التى تتخفى وراء التفاسير المفتعلة لهدم المسجد الأقصى وبناء المعبد اليهودى لتفعيل العودة الثانية للمسيح عليه السلام ومحاولة ترويج هذا الأمر فى العالم المسيحى الغربى وهى الدعوة التى فندها ورفضها الشرفاء ، وأصحاب التحليل الموضوعى من المسيحيين فى الغرب أمثال جريس هيلسيل وجودمان وكثيرين ، وهو الأمر الذى قدمنا له تحليلات فى أحداث بعينها ، فى مقالات ودراسات سابقة ،

■ صدام وبن لادن وفك شفرة النص الدينى بالكمبيوتر ..

ولكن المستجد اليوم هو شيوع كبير لأدبيات النبوءات المرتبطة بالسعى لتفعيل تحركات سياسية ذات أجندة عدوانية غير مسبوقة فهناك مثلاً تفسيرات مواكبة لكل حدث وتنشر لتبرير الحروب ، فإن يرى ساسة أو محللون ضرورة محاربة صدام حسين وأسامة بن لادن مثلاً ويحاولون إثبات وجود علاقة بينهما . فهذا فعل سياسى يمكن رفضه أو قبوله من هذا الطرف أو ذاك ولكن أن نرى مثلاً فى صحيفة الديلى ميل

قراءة فى كتاب يقول «أن كلمات صدام» وأسامة بن لادن» جاءت مشفرة فى النص الدينى وأنهما مجرد بداية حدوث لأحداث محرقة نووية تبدأ فى الشرق الأوسط فهذا أمر آخر وهو فى غاية الخطورة لأنه مبنى على التفعيل المتعسف ظلماً وعدواناً ويعد من قبل التحفيز لحروب دينية والدين منها براء . والتحدث باسم الدين وفى هذا أكبر الخطر على العالم أجمع . كذلك فإن خطورة الأمر تكمن فى محاولة «الإثبات العلمى» حيث أن الذى قام بفك شفرات النص الدينى فى هذا السياق هو عالم الحاسوب والياهو زيبس وهو من أصل روسى وقد أعد برنامجاً للكمبيوتر لفك شفرة كلمات النص الدينى وهو على غرار ما قام به كذلك الأمريكى دوسنين عام ١٩٩٧ فى كتاب له .

▪ عن المعركة الفاصلة بين الروم والمسلمين :

كذلك من الأدبيات المهمة التى ينبغى التوقف أمامها هو كتاب بعنوان «معركة هرمجدون وتأسيس مملكة الرب فى التوراة والانجيل والقرآن» لكاتبه كارلوتا جيزن الذى يرصد نبوءات المعركة الكبرى المعروفة باسم هر مجدون أو المعركة الرهيبة (Tribulation Great) ولقد تم ترجمة هذا الكتاب (كرد فعل سريع) حيث يقول مقدم الكتاب أ. محمد عاشور أن كاتب الكتاب كارلوتا جينز يقول «أن هرمجدون» أو المعركة الكبرى بين الأديان قادمة لا محالة ، وأن العراق تعتبر إحدى المحطات المؤدية لها ، بينما يرد عليه عاشور مقدم الكتاب فيقول فى مقدمته للكتاب : أن معركة هرمجدون قد حدثت بالفعل وأن المملكة الرومانية قد أزالها المسلمون بعد المعركة الفاصلة بين الروم والمسلمين فى موقعة «اليرموك الشهيرة» ولكن أصحاب النبوءات الغربية يقولون بعكس ذلك وأن المعركة الرهيبة قادمة وفى سبيل ذلك فإن عليهم أن يخوضوا المعركة تلو الأخرى للوصول إلى النبوءة . نبوءة الحروب وليس إلا وهى حروب ضد المسلمين أساساً !!

▪ الأصل اللغوى لثقافة الأنجلوسكسون» .. أو اولاد إسحاق :

كذلك نجد من تطور الأحداث ظهور تفسيرات تسعى لتبرير العداء ، فهناك من يرى أهمية محاربة ألمانيا وفرنسا . ليس بسبب مواقفهما تجاه الحرب ضد العراق والثبات على الشرعية الدولية بل لأن هناك «نبوءة» ينبغى تفعيلها وهناك من بدأ يكتب فى الإعلام الأمريكى «لماذا يكرهنا الفرنسيون» ونقرأ ونتصفح فنجد أن هناك نبوءة تنفع لضرب فرنسا لو أقتضى الأمر . هناك من يفسر كذلك صعود الاتحاد الأوروبى كعودة ثانية للامبراطورية الرومانية التى جاءت لتستكمل تاريخ الامبراطورية الرومانية القديمة التى لم تمت بعد وأن إنبعاثها سيؤدى إلى سلسلة من الحروب ، وكل هذه تفاسير متعسفة لصالح حروب ودمار لا طائل منها . كذلك ونحن بصدد تقديم هذه القراءة فى أدبيات ثقافة النبوءات الغربية يتعين علينا الإشارة إلى كتاب مهم للغاية جاء بعنوان «الولايات المتحدة وبريطانيا فى النبوءات ، والكتاب لهربرت أرمسترونج وأهم ما يستوقفنا فيه أنه ومع سعيه لإثبات المرجعيات والمسميات القديمة للمسميات الحديثة فى عالم اليوم أنه يقول «إن كلا من بريطانيا وأمريكا هما أصلاً

من قبائل بنى إسرائيل التى وقع عليها أمر الله بالشتات والعيش فيما يعرف اليوم ببريطانيا والولايات المتحدة . ويضمن كتابه دراسة فى علم الصوتيات الوظيفية ليثبت أن كلمة الأصل السكسونى (SAXONS) هى (ISAACS SONS) أى أولاد إسحاق حيث سقط الـ I طبقاً لظواهر معروفة فى علم الفونولوجى تاريخياً (أو طبقاً لم يعرف بالفيلولوجى الخاص بدراسة ظواهر اللغة عبر الحقب الزمنية التاريخية) لتصبح (SAX ONS) وهو أصل ثقافة النجلو سكسونية التى ينتمى إليها كل من الشعبين الأمريكى والبريطانى فى الأساس وللكتاب فى هذه الجزئية اجتهاده العلمى الطيب ولكن ما يستوقفنا أكثر هو استنتاج الكاتب المهم والقائل وطبقاً لتفسيراته أن على كل من الشعبين البريطانى والأمريكى أن يفهما حجم النعم والمصادر التى منحها الله لكليهما . بشكر الله والصيام والتوبة والسعى للخير ويقول محذراً وبالنص الذى نقدمه بالعربية هنا .

■ النبوءات وسبيل النجاة للشعبين البريطاني والأمريكى

إن تجنب العقاب الذى سيلحق بكل من الشعبين الأمريكى والبريطانى هو فى صميم ما جاء بخصوص المعركة الكبرى الرهيبة حيث سيكون العذاب كبيراً . وسيكون الوقت عصيباً . إلا أنه ليس حتمياً بل مشروط حيث يمكن تحقيق النجاة من هذا العذاب القادم إذا ما سعى الشعبان لتصحيح الاتجاه والعيش بأسلوب يستقدم النعم لا النقم والحفاظ بشكر الله مما يبعدهما عن اللعنات الرهيبة . إنه التصحيح فى اتجاه العيش بما يرض الله .. (ص ٥٧) ويشير الكاتب إلى أهمية التدين الإيجابى ويشيد بتدين الرؤساء الأمريكيين أمثال لينكولن وعودتهم وحثهم على ما يرض الله فى تحقيق النماء والاعمار وحسن المعيشة السوية ولذلك يتوجه الكاتب إلى كل السياسيين فى العالم من خلاله ويطالبهم بمراعاة الطريق السليم السوى لصالح البشرية ويبقى أن نقول هنا أن هذا الكتاب قد نشر عام ١٩٤٥ ومنع من النشر ، ثم تبنته ونشرته عام ١٩٨٠ كنيسة فلادليفيا ، حيث يقول جيرالد فليرى فى مقدمته «لقد حاول الشيطان وأنصاره منع نشر هذا الكتاب . لأننا بدون ما أتى به من علم فنحن نخطر نحو الهلاك . وهنا نجد عودة للنمط الأصلى لكل الأديان . وهو أن يعيش أصحاب الأديان وشعوب العالم فى ظل القوة الإيجابية للأديان تلك القوة التى يتفق عليها كل أصحاب العقول السوية والمنصفة . ولعل من المهم أن تختتم هذا المقال بالإشارة إلى كتاب آخر على درجة كبيرة من الأهمية وهو كتاب يصدر فى إطار علم العلاقات الدولية وإدارة الأزمات الدولية وجاء بعنوان «الدين ذلك البعد المفتقد فى إدارة العلاقات الدولية والذى قدم له الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر وحرره كل من دوجلاس جونستون وسينثيا سامبسون وصدر عن مطبعة جامعة أوكسفورد ويضم مشاركات من ممثلى أهم المراكز البحثية الدولية ويتضمن قراءة مختصرة للأمين العام السابق للأمم المتحدة د. بطرس غالى والذى يؤكد مع الرئيس

كارتر الأهمية الكبرى لتكثيف القوة الإيجابية للأديان فى نشر السلم وحل الأزمات واستبقاها لصالح إنسانية هذا العالم كله . وهنا نقول إن العالم اليوم فى أمس الحاجة للابتعاد عن الحروب بكل أشكالها . ولابد من تكاتف كل الجهود المخلصة فى هذا الصدد ولعل مصر على وجه الخصوص من الدول الأكثر تأهيلاً للعب دور محورى لإظهار هذه القوة الإيجابية للدين البعيدة كل البعد عن «نبوءات» التسييس من أجل حروب جائرة والسعى لإحقاق الحقوق ونشر السلام والاستقرار فى عالم مضطرب والله ولى التوفيق .

تاسعاً : تصدير فكرة الحرب والتناحر العربى العربى إلى الداخل العربى وانشغال العقل العربى «بفوبيا الأجانب» و «الطابور الخامس» ! ومفهوم (ماء الوجه) FACE الذى يمنع نقد الذات أو الاعتراف بالخطأ

يقول هانتينينجتون بصراع الحضارات -- حيث العالم الإسلامى فى معارك مستمرة مع أهم ثقافات العالم المعاصر – ويخالفه دانيل بايبز فيذهب إلى الأسوأ ويقول بحدوث الحروب العربية العربية واشتعال الفتن والتناحر فى الداخل العربى – والعياذ بالله . وكل من الادعائيين بحاجة إلى يقظة وأستنهاض للهمم وللتوحد والخروج خارج نطاق التسحلف والجمود غير المسبوق عربياً وإسلامياً .. وإدارة المونولوج العربى العربى المنطوى على الذات والذى يعترف بالخطأ والقصور بسهولة أو ينفلت إلى جلد الذات بلا هوادة أو رقة باسلوب ممجوج وقاصر لا يعلو إلى مستوى التحديات الخطيرة الموجهة لنا فى كل من الحالتين . فى هذا الصدد أحيل القارئ لمقال سابق لكاتب السطور بعنوان «الاظلام والباحثون عن الحقيقة» (الأهرام ١٩٩٣/٩/٦) وأرصد هنا نص مقال آخر جاء بعنوان الخطاب الثقافى العربى وسيناريوهات أربعة (الأهرام ٢٠٠٣/٧/٦) فيما يلى :

الخطاب الثقافى العربى وسيناريوهات اربعة !

يزداد الحديث هذه الأيام عن أهمية تدشين خطاب ثقافى جديد بما يشمله هذا الأمر ، وهذه دعوة قديمة متجددة فى هذا الصدد ، وأود أن أشارك فى مثل هذه الحوارات الدائرة هذه الأيام من خلال صفحات الأهرام الغراء التى تتسع دائماً للنقد الموضوعى وحرية الرأى والتعبير عنه . ومنطلق النقد المقدم هنا يتمثل أساساً لحوارات ومؤتمرات «ومكلمانات» ينقصها فكر التراكم البناء وبناء الجهد فوق الجهد الآخر بعيداً عن أسلوب «الجزر المنعزلة» والإهدار القائم فالمؤسف حقاً أن هذه الحوارات والمؤتمرات الكبرى تجمع حشداً متميزاً من نخبة هى فى غاية التألق على صعيد الجهود العلمية الفردية ، ولكن ينتهى هذا الحشد بإثارة أسئلة أولية كثيرة .

كأن يتساءل كبار ممثلى هذه النخبة فيقولون «هل نحن بصدد خطاب ثقافى واحد أم أننا فى الواقع أمام خطابات متعددة ؟ وعندما ننتقل فى هذا الإطار لقضايا الحوار مع الآخر وحوار الحضارات والثقافات ؟ يضيع الجهد الأكبر فى تعريفات أولية مثل ما الثقافة ؟ وما الحضارة ؟ وحوار الحضارات صدام أم حوار ؟ (عدو ولا

حبيب) ؟ أسئلة كلها أولية ومهمة ولكن كان المتعين علينا أن نكون قد حسمنا الإجابات عنها وعن أسئلة أخرى أساسية عديدة لنتفرغ لإدارة تعقيدات غير مسبوقة ، وإذا كان لدينا قاعدة بيانات عن مثل هذه الحوارات والمؤتمرات لوجدنا أن الموضوع قد عقدت له عشرات المؤتمرات ومئات جلسات الحوار .. خاصة عقب كل أزمة كبرى واجهناها ؟ . ولكن يبدو أن هناك خللاً محورياً يجعلنا وكل نخبتنا المتميزة نقف على أعتاب المربع رقم (١) إياه . بينما تتحرك نخب الخصوم والآخرين الأعداء منهم والأصدقاء على أعتاب وأرضيات أخرى أكثر تقدماً برغم أن لدينا مـــن أفراد من أهم أقدر ، ولكن أين يكمن الخلل الجوهرى إذن ؟ سؤال كبير لابد مـــن التعامل معه وله مستويات متعددة للتعامل معه ولعل أحد هذه المستويلـــت يكمـــن فـــى أن مجـــال تدشين الخطاب الثقافى الجديد لابد أن ينظر إليه نظرة متسعة وعريضة تتعلق بأهمية تدشين «برنامج ثقافى جديد» يسمى فى عالم التقدم CULTURAL SOFTWARE .

ليكون السياق الأشمل المولد لخطابات جديدة فى المجالات المتعددة ، إلا أنه سياق ينبغى أن تتوافر له بنية أساسية تمكـــن من إحداث التراكم الإيجابى وإلغاء فكر الجزر المنعزلة ، وعدم السماح بعقليات الاقصاء والتآمر وما إلى ذلك من ملامح سلبية .

ولعلـى وفى إطـار هذه المساحة المحدودة أن أطرح هنا سؤالين أساسيين : لابد أن تكون لهما أولوية التعامل إذا ما أردنا الأنفكاك من أعتاب هـــذا المربـــع رقم (١) الذى لا نتركه حتى نعود إليه ثانية ، وهذه الأسئلة الأساسية والأولية تتمثل فيما يلى :

١ - كيف نتعامل بفاعلية وإيجابية حقيقية مع عقلية ترسيخ القائم ومقاومة التغيير ؟

وفى إطار هذا السؤال نطرح كل أسئلة فجوة الإدارة القائمة MANAGEMENT GAP. وكل أسئلة تتعلق بتحليل الشخصية العربية الراهنة . فى إطار هذه الجزئية ، ولعلى أذكر بعض الأمثلة المختصرة على سبيل التوضيح بخصوص هذه النقطة . ففيما يتعلق بجزئية فجوة الإدارة نقول إن أحد الروافد السلبية الكبيرة للخطاب العربى الراهن يتمثل فى فجوة الإدارة وتخلفها ، لأنها بمثابة رافد يشيد ويخلق سياقات التفاعل التى لا تعترف بتأسيس النظام الحديث الفعال SYSTEM بعيداً عن الأفراد ، فإذا جاء على أو محمد أو عوضين فإن النظام هو الأساسى وليس الشخصى . وهذا النظام الإدارى الحديث والفعال من شأنه أن يرسخ مفاهيم التفويض DELEGATION وعملية صنع القرارات الجماعية وليس الاتخاذ الفوقى لها فقط . ويدخل فى مفاهيم التفويض الثابتة تفويض الأمر لله سبحانه . أى أن نستعد ليوم الحساب بالعمل الصالح .

■ **بعيداً عن «ماء الوجه» .. ماذا لو كنت بالفعل تحتاج إلى إنقاص وزنك ٤٠ كيلو جرام ؟**

أما بخصوص الشخصية العربية الراهنة ، فلا شك أن بها إيجابيات لا تنكر ، ولسنا هنا فى سبيل أسلوب جلد الذات ، ولكن هناك سلبيات خطيرة لابد من علاجها . وإحدى هذه السلبيات «العداء الكامن للتغيير الإيجابى عند الكثيرين وعدم قبول النصح والعناد الغريب تحت مظلة مفهوم ماء الوجه أى أن النقد مثلاً أو ترك الموقع لآخرين من باب سنة التبادل يختلط فى أحيان كثيرة بمفهوم «إراقة ماء الوجه FACE» وأحد أسباب شيوع هذه الظاهرة هو عدم الاعتقاد بأن الكلام والفعل نصفه لى ونصفه الثانى للطرف الآخـــر وتفعيل ذلك . ولعلى أذكر مثالاً طريفاً على ذلك حين يتحدث أ. **عماد الدين أديب** فى برنامج له مع إحدى الشخصيات العربية البارزة ويستفزها بقوله لا تقبل التغيير والتعامل مع المستجدات» ويصل الحوار إلى شبه طريق مسدود . فيختتمه أديب قائلاً . هل لو قال لى أحد (أى أحد) أنك بحاجة إلى انقاص وزنك ٤٠ كيلو جراماً وأنا بحاجة فعلاً إلى ذلك فلماذا لا أستجيب بغض النظر عن الذى يطلب ذلك مادام فى ذلك ضرورة حقيقية ؟ صحيح قد يكون هناك فرق جوهرى فى طريقة طلب الشئ الضرورى والواضح . فيمكن أن يكون من صديق مخلص ، يمكن أن يكون من عدو ومستفز يهدف أساساً لاستفزازى ، واظهار عيوبى الحقيقية ليس إلا لأهداف خبيثة ، وهنا قد تكمن المعضلة ولكن لابد فى النهاية من تغيير ما هو واضح على كونه عيباً أو خطأ ولابد من اصلاحه بتواضع وجدية . وهذا شئ يتعلق بأهمية تقويم سلبيات فى الشخصية العربية الراهنة . وإحدى السلبيات الأخرى الواضحة تتمثل فى تلك الظاهرة التى وصفها مفكرنا الكبير الدكتور **مصطفى الفقى** بظاهرة «حصار المواهب وحرق البدائل» فى مقاله المتميز بالأهرام (٢٠٠٣/٧/١) ومن المهم حس القارئ الكريم للعودة إلى تفاصيل هذا المقال المهم الذى يدخل فى تحليل أكبر عقبات الانطلاق بسبب الشخصانية المدمرة التى أصبحت سائدة فى كثير من تفاعلات الواقع العربى والتى فى سبيلها للحفاظ على مكتسبات تمارس أشكالاً عديدة من الاقصاء خاصة تجاه المواهب الواعدة وتحرق كل البدائل الممكنة للتحرك إلى الأمام واستنهاض كل قدرات الأمة وتفعيلها لمصلحة الجميع .

■ **كيف لخطابنا الثقافى يتعامل مع امبراطورية احتلت العراق ؟**

السؤال الثانى الذى يتعين علينا التعامل معه بعد أن نكون قد تعاملنا فعلاً مع السؤال الأول المعنى بتنظيم صفوفنا وتفعيل أكبر طاقاتنا هو السؤال التالى : كيف نتعامل بمعادلة تحتاج منا إلى ضبط دقيق لها وتتمثل فى التعامل بعلم وبعقلانية وحماسة وطنية معاً تستنفر كل طاقات العطاء الخلاقة مع ظروف ومعادلات خارجية غير مسبوقة ، **ولا يمكن لمثل خطابنا الثقافى الراهن (الموغل فى القدم) أن يتعامل بفعالية وإيقاع مناسب معها ، فنحن أمام امبراطورية احتلت العراق وما كان لها ذلك إلا فى حضور قوى لعناصر الخطاب المذكورة فى طيات السؤال الأول** . ونحن أمام

تحديات عولمية خطيرة ، وصراعات كبيرة ومتعددة ومع ذلك وقبله نحن بحاجة إلى تشييد خطاب ثقافي جديد للتضامن العربى نبتعد به عن الخطاب القديم الذى لا يزال سائداً وتتحكم فيه عقلية قطرية تصل فى أسوأ حالاتها إلى التناحر وفى أحسن حالاتها إلى المطالبة بنبذ الخلافات بدلاً من إدارتها بعلمية وأخلاق . فالخلافات لا تنبذ قولاً كما اعتدنا فى خطابنا العربى ولكنها تدار بشكل علمى وعملى ، من هنا فنحن بحاجة إلى اكتساب وترسيخ ثقافة التفاوض الإيجابى حتى نزيل من قاموس تفاعلاتنا لغة التفاخر والعداء المسمومة . وللإعلام دوره المحورى وللتعليم دوره الأساسى فى ذلك ، ولابد أن يكون الإعلام العربى خاصة لتأثيره المباشر فى طليعة الحركة الإيجابية لا الحركة المضادة التى تعود بنا إلى المربع رقم (١) . ولهذا تفاصيله العديدة فى سياق آخر .

سيناريوهات أربعة :

مما سبق نطرح هنا ٤ سيناريوهات شهيرة من مجال المستقبليات . ونحاول رؤية الخطاب العربى ومحاولات تجديده فى إطارها وهى :

(١) سيناريو النعامة OSTRICH

وينطبق على ذلك الخطاب الذى لا يريد أصحابه مواجهة الحقائق فالنعامة تضع رأسها فى الرمال عندما يتهددها الخطر ، لأن النعامة لا تحب أن ترى الخطر . ولا يمكنها أن تطير لتنطلق فى السماء وترى الصورة من أعلى . وهنا نرى صورة لمن يتحدثون عن تجديد الخطاب العربى بالنظر والانشغال إلى أمور بعيدة عن المخاطر الحقيقية . فلا يدركون أن النعامة تضطر فى النهاية إلى أن ترفع رأسها من الرمال . وهنا نرى أصحاب هذا السيناريو يقومون بخفض مستوى خطورة الأوضاع وتجاهلها. ويعتقدون بأن فى هذا تحديثاً للخطاب أو أن هذا نهاية المطاف المطلوبة .

(٢) سيناريو البطة العرجاء LAME DUCK

ومفاده أن البطة ذات الجناح المكسورة لا تتمكن من الحركة الإيجابية السريعة ، وهنا نجد صورة ذلك الخطاب البطئ الممل المتكرر المسهب النمطى والذى هو أكثر مللاً من الملل ذاته الذى لا يدرك أصحابه أنه كالبطة العرجاء فى أدائها الذى لا يصلح فى عصر لم يعد ينطبق فيه مثال «البقاء للأصلح» بقدر ما أصبح فيه الأمر بمثابة «البقاء للأسرع» .

(٣) سيناريو ايكاروس ICARUS

وايكاروس هو طائر على شكل إنسان فى الأساطير الإغريقية القديمة وهو طائر لا يقوى على الطيران طويلاً ثم يسقط ويتحطم بعد إقلاعه . وهنا نرى من يحاولون

إضفاء سمة تحديث الخطاب بتطعيم الخطاب بمفردات ذات جاذبية خاصة فى إطار شعار يرفعونه وهو «خلى اليومين دول يعدوا على خير . ويبقى يحلها حلال» .

وهو شعار غير معلن ولكنه يختبئ فى خطاب علنى لحل مؤقت للمشاكل للتوافق مع أوضاع وقتية بعينها . ولكن سرعان ما يخفق هذا الخطاب فى التعامل بعيد الأجل والفعال مع المشاكل .

(٤) سيناريو طيران الفليمنجو FLEMING FLIGHT

ومن المعروف أن طائر الفليمنجو يقلع ببطء ولكنه يصل إلى إرتفاعات عالية للغايـة ، كمـــا أنه لا يطير فى إطار سرب كبير ولمسافات بعيدة ، ومن المعروف علمياً أن طيران السرب الكبير يقلل من مقاومة الهواء للطائر وبالتالى يقلل من إهدار طاقاته .

وهنا وفى إطار هذا السيناريو فقط تكون عملية تحديث الخطاب العربى ليكون ذلك الخطاب الجماعى المتناغمة عناصره والمؤثرة على صعيد الداخل العربى وفى إدارة شئون الخارج بفاعلية واقتدر بعيداً عن معطيات وأساليب تحديث الخطاب التى حاولنا وصفها فى إطار السيناريوهات الأربعة السابقة وفى إطار السؤالين السابقين فى بداية هذا المقال . هنا فقط يمكننا ترك الخطاب الثقافى القديم الذى لم يعد يناسب أى إدارة متقدمة لشئوننا ، وشأنه والاتجاه العلمى والأخلاقى نحو تأسيس خطاب عربى حديث يتعامل مع المستجدات ويرسخ ثوابتنا الثقافية شكلاً ومضموناً قولاً وفعلاً والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .

عاشراً : ظاهرة تفريغ المعنى (Semantic Deflation) ومعضلة «التحرر» و «الإرهاب»

والمقصود بهذه الظاهرة أن يحدث نوعاً من تفريغ الكلمات من محتواها الحقيقى . وتطبيقاً لهذا المفهوم من واقع تفاعلات «العقل العربى» و «العقل الأمريكى» نعود إلى مقال لكاتب السطور نشر فى مجلة سطور وجاء بعنوان «لغة الاستثناء» (مارس ٢٠٠١) .

لغة الاستثناء

لا يخفق المحلل الموضوعى فى ملاحظة الخلط الكبير بل والتناقض فى تسمية حركات وثورات فى العالم وعلى مدى التاريخ لأنفسها أو تسمية الآخرين لها بحركات «تحرر» أو «إرهاب» .

فمناحم بيجين وإسحاق شامير مثلاً ومعهم زملاؤهم قد احترفوا الإرهاب فعلاً وليس تشبيهاً على مدى تاريخهم منذ زرع إسرائيل فى المنطقة على حساب الفلسطينيين وقتلهم واغتصاب وطنهم وحقوقهم المشروعة ، وصوروا أنفسهم للعالم فى بداية الأربعينيات على أنهم يخوضون «**حركة تحرر**» !! وهناك حركات أتخذت

من الإسلام عنوناً وأساءت إليه أكبر الإساءة ، وانتهى بها المطاف إلى ترسيخ حالة التناحر المسلح والمستمر والتفرغ إلى أساليب القمع والتسلط والتكفير وإعطاء أولوية كبرى لأمور مثل منع ارتداء «الجينز» و «اعتقال الحلاقين» الذين يحلقون للشباب «حلاقة بطل تيتانيك» وإلى مثل ذلك من أمور ، مع التركيز على ترسيخ حالة الخراب والفقر والمرض وإذكاء التناحر المستمر ، الأمر الذى يمثل إساءة للإسلام والمسلمين ، لم يتورع أصحاب الحملات المضللة ضدنا عن استغلالها إلى أبعد الحدود .

وهناك كذلك حركات وثورات ، على مدى التاريخ وفى عالمنا المعاصر ، وبتسميات متعددة - بدأت ممارستها تحت شعار «التحرر» ثم ما أثبت وأن تحولت إلى حركات هيمنة وكبت وتسلط وإرهاب ، وقد حدث ذلك إما من باب الخداع والتضليل أو بسبب أحداث وملابسات ، وإما من باب عدم أصالة مثل هذه الحركات أو الثورات أو انقضاض أصحاب الفكر المتسلط عليها وتحريكها وتوجيهها بدافع من النرجسية المرضية وحب الزعامات . ولو كانت وهمية .

لاشك أننا بحاجة إلى دراسة المقصود «بالتحرر» أو «الإرهاب» أو ما بينهما كل فى سياقات الممارسة الفعلية وصولاً لفهم الخلط القائم فى واقع التفاعلات الداخلية أو الدولية .

- **شارون فى تصريحاته بضرب السد العالى ليس عدوانياً همجياً فقط ، بل يعبر عن استثنائية فى الجهل بالتبعات :**

من المهم ونحن فى صدد محاولة كشف التناقض القائم بين ما يمثل «حركات أو ثورات» تحرر حقيقية وبين ما يمثل ابتعاداً عن ذلك بل والوصول إلى مرحلة ممارسة الإرهاب ، لابد وأن نرصد محوراً من طبيعة المناقشات العلمية التى دارت حول ما سمى فى أدبيات العلاقات الدولية من المنظور التاريخى بمفهوم «الاستثنائية Exceptionalism خاصة فيما يتعلق بالشرق الأوسط (ربما من أهمها تلك المناقشات التى دارت فى أروقة جامعة جورجتاون بواشنطن عام ١٩٩٨) . ويمكننا بالطبع تقديم رؤية نقدية لما دار من نقاش من منظور عربى ، وسأركز هنا على بعض النقاط التى لم تتم مناقشتها أو كانت ذات تحيزات غربية تمتلئ بها كثير من الأبحاث فى الغرب مع الأسف .

فأقول مثلاً ، إننا بحاجة إلى مقارنة الدور والوضع المصرى مقارنة بالدور والوضع الإسرائيلى تحت ما يندرج فى مفهوم «الاستثنائية» فمصر لها خصوصية تاريخية متفردة لا ينكرها أى محلل موضوعى ومن أهم ملامحها بُعد الاستمرارية فى الدور المصرى - رغم انقطاعاته أو إخفاقاته عبر التاريخ - وهذه الاستمرارية هى التى

دفعت كارل براون فى كتابه المهم بعنوان «السياسة الدولية والشرق الأوسط» (١٩٨٤) بأن يقول إن الدولة الوحيدة فى التاريخ الإنسانى التى ظلت متواجدة بقوة فى تفاعلات ما سمى فى أدبيات العلاقات الدولية «بالسؤال الشرقى» Eastern question هى مصر . والكلام كثير فى هذا الصدد ، ولكن ما أود التركيز عليه هنا هو . أنه وفى مقابل الدور المصرى وفى ظل معطيات الصراع الحضارى الممتد فى المستقبل ، حاولت إسرائيل أن تزرع لنفسها فى العالم صورة خاصة بالشكل المزيف الذى حاولت توصيفه و «بيعه» للعالم ولم تكتف بمحاولة إلباس نفسها بمفهوم «الاستثنائية التاريخية» المتمثلة فى «شعب الله المختار» بل حاولت إبراز «استثنائيتها فى الشرق الأوسط» على أنها «واحة الديموقراطية والتقدم» فى مناخ الفوضى والجهل فى كل من حولها ، فى حين أننا لم نسمع أو نرى فى العالم كله نموذجاً من «نماذج الديموقراطية» يقوم على إقصاء وإبادة الطرف الآخر غير اليهودى مثلما يحدث فى النموذج المطبق فى إسرائيل بما يتضمنه كذلك من التناقض الحاد بين عناصر المجتمع (انظر مثلاً إلى وضع عرب إسرائيل من اليهود مثلاً) .

ولذلك فإن بعد «الديموقراطية» فى إدارة الصراع العربى الإسرائيلى داخلياً ودولياً لابد وأن يكون موضع أهتمام خاص لنا لما فى صالح أجندتنا وتفاعلاتنا الداخلية والدولية ولهذا سياق آخر .

- **إسرائيل لا تستطيع العيش فى مناخ سلمى حقيقى وصورتها الواقعية هى صورة الدولة الإرهابية القمعية :**

إرهاب الدولة وحكاية ضرب السد العالى !! إن مفهوم «الاستثنائية» الحقيقية التى يمكن بها وصف إسرائيل بأمانة علمية وموضعية غير الزيف الذى حاولت تصويره وبيعه للعالم يتعلق بمفهوم «إرهاب الدولة» أو ما عرف بـ "State Terrorism" وهو الأمر الذى أفتضح فى سياقات كثيرة وفى الإعلام الغربى ذاته وكان أخرها مشهد الجنود الذين أغتالوا الطفل الشهيد «محمد الدرة» وفى وجود طائرات ودبابات وبوارج حربية تقصف الشعب الفلسطينى الأعزل ، ثم كانت آخر «طرائف» هذا الإرهاب هو تهديد شارون بضرب السد العالى ، أكبر الأهداف المدنية والحضارية والسلمية فى المنطقة كلها ومن أهمها فى العالم .

المشكلة الحقيقية تكمن فى أن إسرائيل لا تستطيع التعايش فى جو سلام طبيعى وإيجابى فى المنطقة وإذا ظلت على هذه الحالة النفسية فإنها ستكون أول من يدفع الثمن الباهظ. وجزء مهم من هذه المشكلة أنها لم تستوعب الدرس بأن الإرهاب والتلويح بالحروب أو شنها من وقت إلى آخر سيتسبب فى هذا الثمن الباهظ لها .

ومن المهم ونحن نتحدث عن حكاية موضوع «ضرب السد» أن أحد الأبحاث الغربية المهمة والتى كتبت عن تبعات مثل هذه العملية – وكان ذلك أثناء حرب

الاستنزاف قبيل حرب أكتوبر / رمضان التى أنهت أسطورة التفوق والهيمنة الإسرائيلية – قال إن وجود السد العالى فى أقصى صعيد مصر يجعله على أرتفاع أكثر من مائة متر تنحدر تدريجياً نحو البحر المتوسط وخلفه أكبر مخزون استراتيجى من المياه (يقدر بخمسة آلاف مليار متر مكعب من المياه) من شأنه فى حالة ضرب السد – لا قدر الله – إحداث موجات عاتية لكل دول البحر المتوسط تتسبب فى إغراق أجزاء كبيرة منها وعلى رأسها إسرائيل . فشارون فى تصريحاته ليس همجياً وعدوانياً فقط بقدر ما يعبر عن استثنائية فى الجهل بالتبعات ، ناهيك عن الرد المصرى المتوقع .

العرب و «لغة الاستثنائية الأمريكية» ! لم يقتصر حديث «الاستثنائية» فى الدوائر العلمية على الشرق الأوسط فقط بل امتدت الأبحاث والأحاديث لتتحدث عن «الاستثنائية الأمريكية» وهى كذلك بحاجة إلى قراءات نقدية موسعة ، إلا إن ما يهمنا هنا هو القول بأن مثل هذه الأبحاث تقول «بأن النفوذ الأمريكى وصعود أمريكا كقوة دولية عظمى منذ الخمسينيات ، جاء ليقدم للعالم صوراً من الحرية والتحرر والتقدم والديموقراطية وحقوق الإنسان وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ولقد كان لهذا الخطاب أهميته كما أنه يؤكد على فكرة استثنائية الوضع الأمريكى من حيث إنه عكس الخطاب الكولونيالى الاستعمارى التقليدى الذى ساد فى فترة الإمبراطوريات والإمبرياليات خاصة الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية ، الذى جاء ظهور أمريكا كدولة عظمى على حسابهما . (فهم ولا ننسى «الإخوة الأعداء» ولهذا سياق آخر) .

ولذلك فإننا يمكننا أن نحلل مثلاً الكثير من بدايات التفاعل الذى بدأ صحياً وجيداً عندما «قمنا بشراء» هذه الاستثنائية والاقتناع بها فى منطقتنا العربية . ولعل العديد من الأحداث المحورية المهمة قد ساعد على عملية هذا «الشراء والتبنى» ، ومن أهمها الإنذار الذى وجهه أيزنهاور إلى كل من بريطانيا وفرنسا «الاستعماريتين» (وضمناً إلى إسرائيل) عندما هاجمت هذه الدول الثلاث مصر فى عام ١٩٥٦ والتى كانت فى مرحلة التحرر من الاستعمار . بل كانت رأس الحربة فى حركات التحرر ، فلقد أرسل أيزنهاور إلى كل من بريطانيا وفرنسا إنذاراً يقول فيه «إن لم تتوقف كل من قوات البلدين عن الاعتداء على مصر فإنه سيأمر الأسطول السابع الأمريكى بالتحرك لضربهما» . وأضاف يقول : «إنه يريد أن يقابل ربه بضمير مستريح» .

مثل هذه المواقف كانت لها قوة إقناعية كبيرة لدى الشعوب والقادة فى الوطن العربى لأن «يشتروا» فكرة «استثنائية أمريكا» عن الاستعمار والمعروف بذلك الوقت بأشكال تقليدية محددة .

كذلك إستراح زعماء كبار فى وطننا العربى إلى العلاقة مع أمريكا عن قناعة كبيرة من حيث إنها مختلفة تماماً عن الأسلوب البريطانى والفرنسى الاستعمارى التقليدى ، وعلى الأقل هى البديل الممكن الأقل ضرراً وسوءاً لايجاد صيغة لضبط العلاقات مع القوى الدولية التى ليس من السهل ضبطها خاصة فى ظل ظروف غير متكافئة تماماً .

فمثلاً كانت كراهية الملك عبد العزيز – رحمه الله – للاستعمار الإنجليزى وإصراره على التحرر من التعامل معه خاصة فى مجال شركات النفط ، ووجود الخطاب الاستثنائى الأمريكى فى بداية تأسيس المملكة من الدوافع القوية للتعامل مع شركات النفط الأمريكية لأول مرة .

كذلك كانت هناك علاقات طيبة للغاية بدأت فى التشكيل فى مرحلة أخرى بين كيندى والرئيس الراحل عبد الناصر ، وكان لها أن تغير ملمح أنماط الصراع والتعاون بين أمريكا ومصر لولا أغتيال كيندى . كما أن الرئيس الراحل عبد الناصر قد عبر هو الأخر عن إعجابه بالنموذج الأمريكى وإستثنائيته ولكنه وضع التحفظات على كل ما يتعلق بالممارسات الأمريكية تجاه إسرائيل (على القارئ المعنى أن يستمع إلى لقاء مهم أجرته محطة CBS مع الرئيس الراحل عبد الناصر فى ٧ فبراير ١٩٥٦ ، بصفته رئيساً لوزراء مصر فى ذلك الوقت) .

ولكن ماذا حدث منذ ذلك الحين إلى اليوم لمفهوم «الاستثنائية الأمريكية» سؤال كبير بحاجة إلى بحث مفصل كمدخل عام لإدارة العلاقات العربية الأمريكية ودراستها فى الماضى وفى المستقبل .

■ القرصان والامبراطور وواقع الإرهاب الدولى الجديد ..

إن ما يسعنى ذكره هنا فى إطار موضوع هذا المقال كمؤشر مهم يعبر عن التغيرات السلبية التى أخذت فى الحدوث هو ما ذكره نعوم تشومسكى فى كتابه المهم بعنوان «القرصان والإمبراطور وواقع الإرهاب الدولى» (١٩٨٦) حينما قال :

«أمر الإسكندر الأكبر بالقبض على أحد القراصنة لإحضاره وتأديبه ، وفى لقائهما قال القرصان: عفواً .. أنا أتحرك بسفينتى الصغيرة للقرصنة فى هذا البحر ولذلك يسمونني بالقرصان، أما أنت فتتحرك بأسطولك الضخم وربما تفعل نفس الشئ فيسمونك بالإمبراطور ...» وينطلق تشومسكى ليقول: «هذا هو واقع الإرهاب الدولى اليوم». إذا حاول الفلسطينيون من خلال أعمال المقاومة المشروعة التحرر من الاحتلال والهيمنة أسموهم بالإرهابيين ، أما إذا تحركت أساطيل وطائرات أمريكا وإسرائيل ، فإنها على الدوام تتحرك من أجل إعلاء قيم الحرية والتحرر ومقاومة الإرهاب !!

هذا أبلغ ما يعبر عن حالة التناقض الحادة والاستثنائية بخصوص ثنائية «التحرر والإرهاب» ..والله المستعان دائماً وأبداً .

حادى عشر : الاقصاء والتكفير ومقاومة الاقصاء والتكفير Elimination & Excommunication) السعي للحوار والدبلوماسية وبناء الجسور في مواجهة السعى للاقصاء وهدم جسور التواصل) (حالة قانون الجسور الثقافية لعام ٢٠٠٢)

على صعيد تفاعلات العقل العربى والعقل الأمريكى ، هناك أمثلة كثيرة لأشكال الاقصاء والتكفير ، فعلى صعيد العقل الأمريكى تم صياغة قانون يسمى بقانون الجسور الثقافية لعام ٢٠٠٢ وهو معروض لإقراره من قبل لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ ويتم بمقتضاه رصد مائة مليون دولار تنفق على برنامج تبادل يتم من خلاله دعوة طلاب المدارس الثانوية من الشرق الأوسط للدراسة لمدة عام فى أمريكا . وكذلك تقديم ٧٥ مليون دولار أخرى لدعم برامج التبادل الثقافى والعلمى القائمة والدعوة مفتوحة كذلك لطلاب الدول الإسلامية التابعة «للمؤتمر الإسلامى وعددها ٥٧ دولة .

ومن أهم من يدعم هذا القرار ويؤيده السيناتور أدورد كيندى هو ومن يرون «أن الفهم الحقيقى المتبادل بين الشعوب هو العامل الحرج للمقاومة الفعالة ضد الإرهاب وبناء علاقات تقوم على الإحترام المتبادل بين شعوب العالم العربى والإسلامى والولايات المتحدة .

وتؤيد هذا القرار مؤسسة فولبرايت الشهيرة ببرامج التبادل الثقافى ، حيث أنه لم توجد أى أزمة دولية سابقة بهذا العمق والتجذر فيما يتعلق بالبعد الثقافى ومن ثم فإن تعميق التبادل يؤدى إلى نتائج إيجابية لصالح الإدارة الإيجابية للأزمة القائمة . ولكن هناك خط يتزعمه دانيال بايبز ومن يؤيد منطلقاته وتوجهاته حيث يرون ضرورة إحباط وإلغاء مثل هذه البرامج مدللين على ذلك بحالة سيد قطب الذى عاش فى أمريكا وعاد ناقماً وكارهاً لها وأثر على أراء وتوجهات الكثيرين على حسب قول بايبز الذى يذهب ومعه المؤيدون له إلى أن نفس الأمر قد حدث فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حيث كان الارهابيون ممن عاشوا ودرسوا فى أمريكا . ويقص بايبز العديد من القصص المؤيدة لطرحه حتى يتمكن من ممارسة الاقصاء التام والإلغاء التام لمثل هذه البرامج بدلاً من دعمها أو استمرارها . ويطالب بتخصيص الأموال لأطفال ضحايا الحادى عشر من سبتمبر . إن ما سبق ليدلل على بعد مهم من أبعاد تفاعلات «العقل العربى» و «العقل الأمريكى» وعلى المؤيدين للجسور الثقافية وبنائها بدلاً من هدمها التحرك لاحتواء العدوانية والاقصائية ومزيد من سلسلة الحروب والكراهية .

أما مفهوم الاقصاء والتكفير فى العقل العربى ، فالأمثلة هى الأخرى كثيرة وعديدة ولقد تعرضنا إليها فى سياقات سابقة وهى تكاد تكون معروفة . ولابد من التعامل العلمى والأخلاقى الإيجابى معها من أجل ترك الباب مفتوحاً للجهود الإيجابية للتواصل الفعال داخلياً وخارجياً .

ثانى عشر : أساليب الاقناع بين التكرار والاسهاب والإيجاز والتكثيف (ما بين العقل العربى والعقل الأمريكى)

بتحليل كم كبير من التفاعلات التفاوضية فى واقعنا الاجتماعى والإدارى والسياسى نجد أنه هناك قطاع كبير من المتفاعلين يوظفون أسلوب التكرار والإسهاب لإقناع الآخرين بمنطقهم أو حجتهم ومن الملاحظ أنه غالباً ما يوظف هؤلاء هذا الأسلوب لا شعورياً وإنما نجده قد أصبح سلوكاً معتاداً لدرجة أن ينعكس ذلك فى أداء كثيرين من أعضاء النخبة فى جلسات الحوار أو المحاضرات وخلافه .

فلقد حضرت حلقة نقاش لأحد خبراء الاقتصاد الكبار وكان يتحدث للحاضرين عن مفهوم الاقتصاد الحديث وآليات السوق والخصخصة ولقد كانت قناعته بما يقوله واضحة جداً وأتصور أن معظم الحاضرين الذين يعتبرون المتكلم أستاذاً لهم قد اقتنعوا بمقولاته ولكنه ظل يعيد ويكرر هذه القناعات بشكل يكاد يكون مزعجاً وربما لأن وجوه وإيماءات الحاضرين كانت مشجعة ومؤيدة فاعتبر ذلك بمثابة استحسان «لإعادة الوصلة» ونجح الخبير فى تحقيق مراميه الاقناعية ولكن تم تدمير مفهوم «اقتصاد اللغة» فى تلك الجلسة التى استمرت لساعات طويلة كان يمكن اختصارها فى ربع المدة وتكون أكثر من كافية وذكرنى هذا الموقف بمحاضرة أخرى عن المستشفيات حيث ظل المتحدث يحدثنا فيها عن عصر الثورة الزراعية ثم عصر الثورة الصناعية إلى أن وصل إلى عصر ثورة المعلومات وهو من المفترض أن يكون موضوع محاضرته ولكن عندما وصل لعصر المعلومات كان ٨٥ ٪ من وقت المحاضرة قد أنتهى فى إسهاب وتكرار لما يعرفه الحاضرون أصلاً وبقى وقت قليل جداً للحديث عن جوهر المحاضرة .

وفى ندوة أخرى ذكر محدثنا أن الأمر يحتاج إلى ثلاثة أيام من الحديث إذ أراد أن يوضح موضوع النقاش ، ومن أطرف ما قاله أحد الزعماء العرب ضاحكاً بأنه إذا قابل الرئيس فلان فلابد وأن جلسات الحوار ستستغرق ما بين ١٨ إلى ٢٠ ساعة .

بعد هذا «الإسهاب» المتمثل فى الأمثلة السابقة أقول بأنه لاشك وأن هيمنة أسلوب الإسهاب والتكرار لنفس الفكرة أحياناً أو سرد المقدمات الطويلة فى تفاعلاتنا المسموعة والمكتوبة تتجاوز فى كثير من الأحيان عامل التشويق وكذلك ما هو مطلوب فى توصيل المعنى والتأكد من ذلك «أنظر على سبيل المثال الحجم المبالغ فيه لكثير من الرسائل العلمية والكتب» ، أن هذه الظاهرة قد دفعت بخبراء علم اللغويات الاجتماعى والعرقى الغربيين – ممن يمارسون ظواهر وأساليب الاقناع عبر الثقافات – إلى القول بأن أسلوب الحجة الأفقية التى تنبنى على أن الاقناع بالتكرار والإسهاب هو الأسلوب السائد فى الواقع العربى ، حيث يتم دفن المقولة الرئيسية فى مكان ما فيما يقال أو يكتب وأن أمر استكشافها عادة ما يترك لقدرات المتلقى وهذا عكس أسلوب الحجة الرأسية «الغربية» التى يتخذ فيها المتحاور أسلوب ذكر الفكرة الرئيسية

مرة واحدة فى بداية الكلام أو الكتابة والانتقال بعد ذلك وفوراً لتدعيمها بالبيانات والأدلة وتنتهى مقولته بسلوك يتسم بكل معايير الإيجاز والوضوح . إن ما نريد أن نعلق عليه هنا أنه وإذا كانت هناك بيانات من واقع تفاعلاتنا تؤيد ما يذهب إليه هؤلاء الباحثون الغربيون إلا أن مقولاتهم فى هذا الصدد تحتاج إلى التفنيد والتعليق لأنها قد اتسمت بالتعميم الزائد والتحيز الواضح فى رصد «البيانات الممثلة» لوصف «الثقافة العربية» ومن أمثلة هذه الدراسات دراسات الباحثة باربراجونستون .

ولذلك فمن عدم الدقة العلمية وصم الثقافة العربية بمقولات تتسم بالعمومية الزائدة . ولكن وللحق هناك بالفعل قطاع كبير من المتفاعلين قد استهواهم أسلوب التكرار والإعادة والإسهاب بالمعنى السلبى .

- **هل سبب أسلوب التكرار والإسهاب ثقافى أم علمى ؟**

أنه من خلال معايشتى للواقعين العربى والغربى لا أتفق مع التصنيف التعميمى الذى يذهب إليه البعض من الباحثين الغربيين الذين يستحضرون حججهم من واقع التفسير الثقافى فقط حيث أن الأمر وإن كان له إطاره الثقافى العام وممارسات مثل هذا الواقع الثقافى أو ذاك بالفعل ، إلا أن الأمر يتعلق وفى المقام الأول بالتدرب على الإيجاز وتصدير الفكرة الرئيسية بحرفية ووضوح . ففى التفاعلات الغربية نجد كثيراً من الأمريكيين من غير المدربين على تقنيات وأداء الإيجاز الواصل والمحقق لرسالة طرف ما يوظفون كل أدوات التكرار والإسهاب الممل والغموض فى الحوار وبما فيهم قطاع لا بأس به من المحامين ، الأمر الذى دفع بعض خبراء القانون المعنيين باللغويات وكذلك خبراء علم اللغويات الاجتماعى والتطبيقى بتناول هذا الأمر بالتحليل . وفى هذا الصدد يقول الخبير رودل «أن اللغة التى يصاغ بها القانون ويستخدمها كثير من المحامين تستخدم لعمل سحابة كثيفة من الدخان لتختبئ من ورائها المعانى ويفتقد المنطق الواضح . وبالتالى فإن مثل هذه اللغة تتسبب فى مزيد من المنازعات والمشاكل بدلاً من منعها وحلها .

وكان من نتائج معالجة هذا الأمر ظهور العديد من الدراسات فى مجال ما يعرف الآن باللغويات القانونية وكتاب ريموند رودل الهام بعنوان المرشد فى الصياغة القانونية الواضحة والذى يندرج فى إطار هذه الدراسات يتضمن مقدمة علمية تتسم بالطرافة والعمق بعنوان «دعنا نقتل كل المحامين» حيث يقدم الكاتبان مقولات كثيرة من واقع القضاء الأمريكى مع تقديم تحرير موجز وواضح لها فى ثلثها أو أقل ويذهبون إلى أهمية أعلاء وظيفة التدريب العملى والتقنى لأسلوب الكتابة القانونية الموجزة من أجل أداء أفضل فى المجال القانونى وإدارة أفضل لعامل الوقت الذى إذا ما تم

تعظيم المنافع منه لاعتبرناه فعلاً واحداً من أهم وأثمن عوامل النهضة والتنمية لكل بلاد العالم . إن هذا العامل التقنى هو الذى دفع أحد القواد أو الزعماء «غير معروفى الإسم» إلى قوله لأحد قواده «آسف لكتابة هذا الخطاب الطويل لك فلم يكن لدى الوقت الكافى لكتابة خطاب قصير» . نعم ان الرسالة الموجزة والمكثفة والواضحة تحتاج إلى وقت أطول لكتابتها لتظهر على النحو الدقيق والموجز الذى لا يستبيح وقت الآخرين ويهدره دون وجه حق .

- **مفهوم التكرار ووظائف حوارية أخرى :**

ولكن لابد أن نشير هنا إلى أن أسلوب التكرار فى الحوار فى واقعنا وظائف أخرى غير الأقناع ودعنا نتأمل هذا الأمر من خلال الحوار التالى :

المتحدث (أ) : هل معك «أهرام اليوم» ؟

المتحدث (ب) : «لا والله آسف مش معاى» .

المتحدث (أ) : يعنى ما جيتوش ؟

المتحدث (ب) : لا والله .

المتحدث (أ) : طب معاك «قلم أحمر» ؟

المتحدث (ب) : برضه متأسف ليس معى .

المتحدث (أ) : عايزة خمس دقائق بس» !

المتحدث (ب) : والله ليس معى يا أخى !!

وعند سؤال المتحدث (أ) هل أنت متشكك أصلاً فى صدق إجابات المتحدث (ب) فتكون إجابته «لا والله بالفعل بس أنا مش عايز أخلص «وأقفل» الكلام معاه كده على طول» . وبتأمل هذا الحوار نجد أن للتكرار وبالإضافة لوظائف التأكد والتأكيد والإلحاح على فكرة معينة فإن له وظيفة اجتماعية أخرى من شأنها الحفاظ على كمية «زيت مناسبة فى عجلة الحوار» بحيث لا تحدث احتكاكاً أو صوتاً قد يكون مزعجاً . وربما أكثر ما نلاحظ هذا عند نهاية معظم مكالمات التليفونات كما فى هذا الجزء من نهاية أحد الحوارات :

المتحدث (أ) : طب نقول السلام عليكم .

المتحدث (ب) : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

المتحدث (أ) : ألف سلامة .. مع ألف سلامة .

المتحدث (ب) : فى أمان الله .. ويبقى موعدنا غداً كما اتفقنا .

المتحدث (أ) : إن شاء الله .. فى رعاية الله .

المتحدث (ب) : شكراً ألف شكر مع السلامة .

المتحدث (أ) : إلى اللقاء مع السلامة .. ألف سلامة .

المتحدث (ب) : سلام .. مع السلامة .

يحدث هذا فى كثير جداً من حواراتنا . خاصة عند إنهاء الحوار التليفونى فيما بيننا . وهنا يفوت على المحللين الغربيين الذين يكتفون فى ثقافتهم بكلمة واحدة لإنهاء المكالمة وهى (By) أو (see you) فقط . أن قيمة «تزييت عجلة الحوار» أو استرسال العلاقة أهم عندنا إذن من قيمة الإيجاز أو بمعنى أدق عند القطاع الأغلب فى واقعنا الثقافى . ولكن ما نود أن نقوله هنا أننا ، وإذا كنا نتفاوض فى إيقاع هذا العصر السريع فعلينا أن نعيد تقييم أدائنا فى حواراتنا خاصة فى حوارات المحاضرات والعمل والإدارة من أجل ضبط معادلة تجنب الجفاف من ناحية واسترسال العلاقة والتشويق والتأكيد على فكرة ما من ناحية أخرى دون فقدان الوقت الثمين والسقوط فـــى براثـــن الاسهاب والتكـــرار غير المفيد من ناحية أخرى !!! ... وفى نهاية هذا الطرح نود التأكيد على أن موضوع «صور وأشكال التكرار فى اللغة العربية وفى اللغة الإنجليزية بحاجة إلى عودة تفصيلية» وقد خصصت لذلك بحثاً كاملاً بصدد النشر.